ديوان

الإمام علىٰ

رضى الله عنه

مقدمة

هذه المقطوعات والأبيات التى بين أيدينا هى ما ينسب للإمام على ـ كرم الله وجهه ـ من الشعر ، وأول سؤال يخطر على أذهاننا هل لابد وأن يكون الإمام على شاعراً ؟ بالطبع لا فمكانته فى الإسلام لا تحتاج إلى نسبة شىء إليه يرتفع بها فى العيون وترسخ مكانته فى القلوب .

ولنا على هذه الأبيات ملاحظات نوجزها فيما يلى :

أولا : تكثر فى الديوان أبيات المدح للقبائل وهذا بعيد كل البعد عن خلق الإمام من ناحية وبعيد عنه كشاعر من ناحية أخرى

ثانياً : الصور الفنية والمحسنات البديعية نادرة جداً تقترب من حد العدم وهو ما لا يليق ببلاغة الإمام وفصاحته المعروفة .

ثالثاً : تنتشر فى بعض أبيات الديوان روح الفخر الشخصى وتعديد الأمجاد وخاصة قتله لعمرو بن عبد ود ، وليس ذلك من أخلاق الإمام ولم نعرفه عن أحد من الصحابة .

رابعاً : كثرة المساجلات الشعرية ، ولا أقول نقائض ـ بين الإمام وعمرو ومعاوية وكأنهم جميعاً كانوا مشغولين بالشعر فلا يتخاطبون إلا به وقد كانت قضيتهم غير ذلك تماما .

خامساً : كثير من المواقف التى قال فيها الإمام الأبيات مفتعلة ولا يحسن ؛ بل لا يتناسب فيها قول شعر خاصة من رجل ليس محترفا للشعر أصلا كبشار أو المتنبى مثلا

سادساً : فى الديوان أبيات تذم النساء ذما لا معنى له فهل كان على عدوا للمرأة ؟ أم لم يكن يعلم أن الرجل والمرأة سواء فى تكاليف الشريعة إلا ما كان منفرق طبيعى بينهما .

ثم بعد ذلك نجد مدحا للسيدة خديجة والسيدة فاطمة إذن فالإمام يعرف من النساء من لها مكانة ومنزلة عظيمة عند الله ومنهن من بشرها الله بالجنة كالسيدة خديجة ثم بعد ذلك نسأل إذا كان الإمام علىّ يقول فى المرأة ما يقول وهو زوج فاطمة وحماته خديجة فماذا نقول نحن فى المرأة ؟ !!

ونرجو من الله قبول هذا العمل
وأن ينفع به المؤمنين

باب : « الجهاد » (وما يتعلق به)
فى بدر

ألم تر أن الله أبلى رسوله ... بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة ... فذوقوا هوانا من إسار ومن قتل
وأمسى رسول الله قد عز ... نصره وكان رسول الله أرسل بالعدل
فجاء بفرقان من الله منزل ... مبينة آياته لذوى العقل
فآمن أقوام بذلك وأيقنوا ... وأمسوا بحمد الله مجتمعى الشمل
وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم ... فزادهم ذى العرش خبلا على خبل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله ... وقوما غضابا فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيض (1) خفاف قواطع ... وقد حادثوهم بالجلاء وبالصقل
فكم تركوا من ناشئ (2) ذى حمية ... صريعا ومن ذى نجدة منهم كهل
تبيت عيون النائحات عليهم ... تجود بأسباب الرشاش (3) وبالويل
نوائح تنعى عتبة الغى وابنه ... وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
وذا الدحل تنعى وابن جدعان ... منهم مسلبة حرى مبينة الشكل
ثوى (4) منهم فى بئر بدر عصابة ... ذوو نجدات فى الحروب وفى المحل (5)
دعا الغى منهم من دعا فأجابه ... وللغى أسباب مقطعة الوصل
فأضحوا لدى دار الجحيم بمنزل ... عن البغى والعدوان فى أشغل الشغل

---

(١) **بيض** : السيوف .
(٢) **ناشئ** : الغلام الذى جاوز حد الصغر .
(٣) **الرشاش** : المطر الخفيف .
(٤) **ثوى** : أقام .
(٥) **المحل** : القحط .

غواية المشركين

رأيت المشركين بغوا علينا ... ولجوا فى الغواية والضلال
وقالوا نحن أكثر إذ نفرنا ... غداةَ الرَّوْع بالأَسَلِ (١) الطوالِ
فإن يبغوا ويفتخروا علينا ... بحمزة وهو فى الغرف العوالى
فقد أودى بعتبةَ يوم بدر ... وقد أبلى وجاهدَ غيرَ آلى
وقد فلَّلْتُ خيلَهم ببدر ... وأتبعت الهزيمة بالرجال
وقد غادرْتُ كبشَهُمُ جهاراً ... بحمد الله طلحة فى الضلال
فتل[٢] لوجهه فَرفَعْتُ عنه ... رقيق الحد حودث بالصقال[٣]
كأن الملح خالطهُ إذا ما ... تلظى كالعقيقة فى الظلال

وقال فى قتله عمرو بن عبد ود :

وكانوا على الإسلام ألبا (٤) ثلاثةً ... فقد بزَّ (٥) من تلك الثلاثة واحدُ
وفر أبو عمرو هبيرة لم يعد لنا ... وأخو الحرب المجرب عائدُ
نَهَتْهُمْ سيوفُ الهند أن يقفوا لنا ... غداة التقينا والرماح المصايدُ

فقال أمير المؤمنين :

لقد كان ذا جدٍّ وجَدَّ بكفره ... فَقِيدَ إلينا فى المجامع يُعْتَلِ

(١) **الأسل** : الرماح .
(٢) **فتل** : أى سقط .
(٣) **الصقال** : صقل السيف أى جلال .
(٤) **ألبا** : المفسدين .
(٥) **بزّ** : أى ظهر .

فقلدتُه بالسيف ضربةَ مُحْفظ ... فسار إلى قعر الجحيم يكبل
فذاك مآب (١) الكافرين ومن يطعْ ... لأمر إله الخلق فى الخلد يَنْزِل

وقال فى يوم خيبر :

ستشهد لى بالكرِّ والطعن راية ... حبانى بها الطهرُ النبىُّ المهذَّبُ
وتعلم أنى فى الحروب إذا التظى ... بنيرانها الليث الهموس المرجَّب
ومثلى لاقى الهول فى مفظعاته ... وقل له الجيش الخميس العَطَبْطَب[٢]
وقد علم الأحياء أنى زعيمها ... وأنى لدى الحرب العذيقِ المرجَّبُ

ولما برز مرحب يوم خيبر انشا يقول مخاطبا الإمام على :

قد علمت خيبر أنى مَرْحَبُ ... شاكى السلاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إذا الليوث أقبلت تلتهبُ ... أطعن أحيانا وحينا أضربُ

فأجابه أمير المؤمنين :

أنا على بن عبد المطَّلبْ ... مهذب ذو سطوة غضبْ
غديت فى الحرب وعصيان النُّوَبْ ... من بيت عز ليس فيه منشعبْ
وفى يمينى صارمٌ[٣] يجلو الكُرَبْ ... من يلقنى يلق المنايا والعطبْ

وبعد أن قتل عمرو بن عبد ود وانكشف تنحى عنه وقال :

عبد الحجارةَ من سفاهة رأيه ... وعبدْتُ رب محمد بصوابِ
فَصَدَدْتُ حين تركته متجدلاً[٤] ... كالجذع بين دكادك وروابى
وَعَفَفْتُ عن أثوابه ولوأنَّنى ... كنت المقطَّرَ بزَّنى أثوابى

(١) **مآب** : أى مرجع .
(٢) **العطبطب** : القوى الشديد .
(٣) **الصارم** : السيف .
(٤) **متجدلاً** : من جدل أى صرع .

لا تحسبنَّ اللهَ خاذلَ دينه ... ونبيه يامعشرَ الأحزابَ
أعليّ تقتحم الفوارس هكذا ... عني وعنهم خبروا أصحابي
فاليوم تمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بنابي
أدى عمير حين أخلص صقله ... صافي الحديدة يستفيض ثوابي
فغدوت ألتمس القراع [(١)] برهف ... عَضْب[(٢)] من البقراء[(٣)] في أقراب
آلى ابنُ عبد حين جاء محاربا ... وحلفْتُ فاستمعوا من الكذاب
أن لايفر ولايهلل فالتقى ... رجلان يلتقيان كلَّ ضراب
وغدوت ألتمسُ القراعَ وصارم ... عَضْب كلون الملح في أقراب
وعرف ابن عبد حين أبصر صارماً ... يهتز أنَّ الأمرَ غيرُ لَعَابَ

روى أن عمرو بن عبد ود نادى يوم الخندق من يبارز وجعل فقام علي وقال : يانبي الله . . قال : اجلس إنه عمرو ثم كرر عمرو بن ود النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول : أين جنتكم التي تزعمون من قتل منكم دخلهاأفلا يبرز إليَّ رجل وقال :

ولقد بُححتُ منَ النّداَ ... ءبجمعكُم هَلْ مَنْ يُبَارِزْ
وَوَقَفْتُ إذْ جَبُنَ الشُّجَا ... عُ بِمَوقفِ القِرْنِ الْمُنَاجِزْ
إنّى كَذَلكَ لَمْ أزَلْ ... مُتَسَرِّعاً نَحْوَ الهَزَاهِزْ
إنَّ الشجاعَةَ والسَّمَا ... حَةَ فِي الفتى خَيرُ الغَرَائزْ

فبرز إليه عليُّ وهو يقول :

يَا عَمْرُو وَيْحَكَ قَدْ أتَا ... كَ مُجيبُ صَوتكَ غيرُ عَاجزْ

---

(١) **القراع** : المنازلة والمبارزة.
(٢) **عضب** : قاطع.
(٣) **البقراء** : بقر بقراً أي شقه.

ذُو نيَّةٍ وبَصيرَةٍ ... والصِّدْقُ مُنْجِي كُلِّ فَا
إنِّى لأرْجُو أنْ أقيمَ ... عليكَ نائحَةَ الجنَا
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلاَءَ يَبْقَى ... صيتُها عند الهَزَاه

وحمل يوم بدر وزعزع الكتيبة وهو يقول :

نَصَرْنَا رَسُولَ اللّه لَمّا تَدَابَرُوا ... وثَابَ إلَيْه الْمُسْلمُون ذوو [(١)] الحجَى
ضَرَبْنَا غُواةَ النَّاسِ عَنْهُ تَكَرُّماً ... ولَمَّا يَرَوْا قَصْدَ السَّبيلِ ولاَ الهُدَى
ولَمَّا أتَانَا بِالْهُدَى كَانَ كُلُّنَا ... عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمنِ والْحَقِّ والتُّقَى

قال عند قتل الوليد بن عتبة يوم بدر :

تَبًّا وتَعْساً لَكَ يَاابْنَ عُتْبَه ... أسقيكَ منْ كَأسِ الْمَنَايَا شَرْبَه
ولاَ أبَالي بَعْدَ ذَلكَ غَبَّه

وينسب إليه

مَاتَرَكَتْ بَدْرٌ لَنَا صَديقَا ... ولاَ لَنَا مِنْ خَلْفِنَا طَرِيقَا

وقال يوم بدر :

قَدْ عَرَفَ الْحَرْبُ العَوانُ أنِّي ... بَازِلُ عَامَيْنِ حَديثُ سِنْ
سَنَحْنَحُ [(٣)] اللَّيْلَ كَأنّي جِنّي ... أسْتَقْبِلُ الحَرْبَ بِكُلِّ فَنْ
مَعي سِلاَحي ومَعي مِجَنّي ... وَصَارِمٌ يُذْهِبُ كُلَّ ضِغْنْ
أقْصِي بِهِ كُلَّ عَدُوٍّ عَنّي ... لِمِثْلِ هَذَا وَلَدَتْني أمِّي

---

(١) **ذوو الحجى** : أصحاب العقول السليمة.
(٢) **تباً** : أي الهلاك.
(٣) **سنحنح** : أي ترديد الصوت في الجوف.

لا تحسبنّ الله خاذلَ دينه ... ونبيه يامعشرَ الأحزاب
أعليّ تقتحم الفوارس هكذا ... عني وعنهم خبروا أصحابي
فاليوم تمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بنابي
أدي عمير حين أخلص صقله ... صافي الحديدة يستفيض ثوابي
فغدوت ألتمس القراع (١) بمرهف ... عَضْب(٢) من البقراء(٣) في أقراب
آلى ابنُ عبد حين جاء محاربا ... وحلفْتُ فاستمعوا من الكذاب
أن لا يفر ولا يهلل فالتقى ... رجلان يلتقيان كلَّ ضراب
وغدوت ألتمسُ القراعَ وصارم ... عضب كلون الملح في أقراب
وعرف ابن عبد حين أبصر صارماً ... يهتز أنَّ الأمرَ غيرُ لعَابَ

روى أن عمرو بن عبد ود نادى يوم الخندق من يبارز وجعل فقام علي وقال : يانبي الله . . قال : اجلس إنه عمرو ثم كرر عمرو بن ود النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول : أين جنتكم التي تزعمون من قتل منكم دخلهاأفلا يبرز إليَّ رجل وقال :

ولقد بُححتُ منَ النّدا ... ءبجمعكُم هَلْ مَنْ يُبَارزْ
وَوَقَفْتُ إذْ جَبُنَ الشُّجَا ... عُ بِمَوقف القِرْن الْمُنَاجِزْ
إنّى كَذَلكَ لَمْ أزَلْ ... مُتَسَرِّعاً نَحْوَ الهَزَاهِزْ
إنَّ الشجَاعَةَ والسَّمَا ... حَةَ فِي الفتى خَيرُ الغَرَائزْ

فبرز إليه عليُّ وهو يقول :

يَا عَمْرُو وَيْحَكَ قَدْ أتَا ... كَ مُجيبُ صَوتِكَ غَيرُ عَاجِزْ

---

(١) القراع : المنازلة والمبارزة .
(٢) عضب : قاطع .
(٣) البقراء : بقر بقراً أي شقه .

ذُو نيَّةٍ وبَصيرَةٍ ... والصِّدْقُ مُنْجي كُلَّ فَائِز
إنِّي لأرْجُو أنْ أقيمَ ... عليك نائحةَ الجنائز
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلاءَ يَبْقَى ... صيتُها عند الهزَاهِز

وحمل يوم بدر وزعزع الكتيبة وهو يقول :

نَصَرْنَا رَسُولَ اللّه لَمَّا تَدَابَرُوا ... وثَابَ إليْه الْمُسْلمُون ذوو (١) الحجَى
ضَرَبْنَا غُواةَ النَّاس عَنْهُ تَكَرُّماً ... ولَمَّا يَرَوا قَصْدَ السَّبِيل ولاَ الهُدَى
ولَمَّا أتَانَا بالْهُدَى كَانَ كُلُّنَا ... عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمنِ والحَقِّ والتُّقَى

قال عند قتل الوليد بن عتبة يوم بدر :

تَبًّا وتَعْساً لَكَ يَاابْنَ عُتْبَه ... أسْقيكَ مِنْ كَاسِ الْمَنَايَا شَرْبَه
ولاَ أبَالِي بَعْدَ ذَلِكَ غِبَّه

وينسب إليه

مَا تَرَكَتْ بَدْرٌ لَنَا صَدِيقَا ... ولاَ لَنَا مِنْ خَلْفِنَا طَرِيقَا

وقال يوم بدر :

قَدْ عَرَفَ الحَرْبُ العَوانُ أنِّي ... بَازِلُ عَامَيْن حَدِيثٌ سِنّ
سَنَحْنَحُ(٣) اللّيْلَ كَأنِّي جِنِّي ... أسْتَقْبِلُ الحَرْبَ بكُلِّ فَنّ
مَعِي سِلاَحِي ومَعِي مِجَنّي ... وَصَارِمٌ يُذْهِبُ كُلَّ ضِغْن
أقْصِي بِهِ كُلَّ عَدُوٍّ عَنِّي ... لِمثْلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أمِّي

---

(١) ذوو الحجى : أصحاب العقول السليمة .
(٢) تباً : أي الهلاك .
(٣) سنحنح : أي ترديد الصوت في الجوف .

وقال يوم أحد حين خرج طلحة العبدري صاحب لواء قريش وهو المسمى كبش الكتيبة ونادى : إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة فهل منكم من يبارزني ، فخرج عليٌّ وهو يقول :

أنا ابنُ الحَوضَين عَبدِ المُطَّلبْ ... وهَاشمِ المطعم في العامِ السَّغِبْ (١)

أوفي بميعادي وأحمي عن حَسَبْ

وقال في الحارث بن الصمة بن عمرو الأنصاري يوم أحد :

لأَهُم إنَّ الحَارثَ بن صَمَّهْ ... أهلُ وَفاءٍ صادق وذمَّهْ

أقْبلَ في مَهَامَة (٢) مُهِمَّهْ ... في ليلةٍ لَيلاءَ مُدْلهِمَّهْ (٣)

بَيْنَ رِمَاحٍ وَسُيُوف جَمَّهْ ... يَبْغي رَسُولَ اللّه فيهَا ثَمَّهْ

وقد برز طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار يوم أحد ونادى :

يامحمد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ فبرز إليه أمير المؤمنين وهو يقول :

يَاطَلْحُ إنْ كُنْتَ كَمَا تَقُول ... لَكُمْ خُيُولٌ وَلَنَا نُصُولُ (٤)

فاثبتْ لتَنْظُرَ أيُّنا المَقْتُولُ ... وأيُّنَا أولى بمَا تَقُولُ

فَقَدْ أتَاكَ الأسَدُ الصَّؤُولُ ... بصَارمٍ لَيْسَ لَهُ فُلُولُ

يَنصُرُهُ القَاهرُ والرَّسُولُ

(١) السغب : المجاعة والقحط .
(٢) مهامة : الفلاة أو الصحراء .
(٣) مدلهمة : أي شديدة السواد .
(٤) نصول : أي الغبار .

وقال فيمن قتل يوم أحد :

اللّه حَيٌّ قَديمٌ قَادرٌ صَمَدُ ... فَلَيْسَ يَشْرِكُهُ في مُلْكه أحَدٌ

هُوَ الّذي عَرَّفَ الكُفَّارَ مَنْزِلَهُمْ ... والمؤمنونَ سيجزيهم بمَا وَعَدُوا

فإنْ تَكُنْ دولةٌ كانت لنا عظة ... فَهَلْ عَسى أن يَرى فيهاَ غيرُهُ رَشَدُ

ويَنْصُرُ اللّهُ مَنْ وَالاهُ إنَّ لَهُ ... نَصراً يُمَثِّلُ بالكُفَّار إنْ عَنَدُوا

فإنْ نَطقْتُمْ بفَخْرٍ لا أبَالكُمْ ... فيمَنْ تَضمَّنَ مِنْ إخْوَانِنا اللحَدُ

فَإنّ طَلْحَةَ غَادَرْنَاهُ مُنجَدلاً ... وللصَّفَائح نَارٌ بَيْنَنَا تَقدُ

والمَرءُ عُثمَانُ أرْدَتْهُ أسنّتُنَا ... فَجيبُ زَوْجَته إذْ أخْبرَتْ قِدَدُ (١)

في تسْعَة ولواء بَيْنَ أظْهُرهِمْ ... لَمْ يَنْكُلُوا عن حَيَاض المَوْت إذ وَرَدُوا

كَانُوا الذَّوائب (٢) مِنْ فِهْرٍ وأكرَمَهَا ... حَيْثُ الأنوفُ وَحَيْثُ الفرعُ والعَدَدُ

وأحْمَدُ الخَيرُ قَدْ أرْدَى عَلى عَجَلٍ ... تَحْتَ العَجَاج أبيّاً وهو مجتهد

فَظَلّت الطَّيرُ والضّبعَانُ تَرْكَبُهُ ... فَحَامِلٌ قطعَةً مِنْهُ ومُقْتَعِدُ

وَمَنْ قَتلْتُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ ... منّا فَقَد صَادَفُوا خَيْراً وَقَدْ سَعِدُوا

لَهُمْ جِنَانٌ من الفِرْدَوْسِ طَيِّبَةٌ ... لا يَعْتَريهِمْ بهَا حَرٌّ ولا صَرَدُ

صَلَّى الإلهُ عَلَيْهِم كُلّمَا ذُكِرُوا ... فَرُبَّ مَشْهَدِ صدق قَبْلَهُ شَهِدُوا

قَوْم وَفَوا الرَّسُولَ واحْتَسَبُوا ... شُمّ العَرَانِينَ مِنْهُم حَمْزَةُ الأسَدُ

ومُصْعَبٌ كَانَ لَيْثاً دُونَهُ حُرداً (٣) ... حَتّى تَزَمّلَ مِنْهُ ثَعْلَبُ جَسَدُ

لَيْسُوا كَقَتلَى مِنَ الكُفَّارِ أدْخَلَهُمْ ... نَارَ الجَحيم عَلَى أبوابهَا الرَّصَدُ

وقال بعد قتل زيد وطلحة يوم أحد :

أصُولُ باللّهِ العَزيزِ الأمْجَدِ ... وفَالقِ الإصبَاحِ رَبِّ المَسْجِدِ

أنا عليٌّ وابنُ عمِّ المهتدي

(١) قدد : ممزقة . (٢) الذوائب : الأشراف . (٣) حرداً : جمع لليث.

وقال لما بلغه شماتة هند بقتل حمزة يوم أحد :

أتانى أنَّ هنداً أختَ صخر ... دَعَتْ دَركاً وبشَّرَت الهنودا

فإن تفخر بحمزةَ حينَ ولَّى ... مع الشهداء محتسبا شهيدا

فإنَّا قد قتلنا يومَ بدر ... أبا جهل وعُتْبَةَ والوليدا

وقَتَّلْنا سُراةَ الناس طُرّاً[1] ... وغَنِمنا الولائدَ والعبيدا

وشيْبَة [2] قد قتلنا يوم ذاكُمْ ... على أثوابه عَلَقاً جَسيدا

فَبُوئى من جهنم شرَّ دار ... عليها لم يجد عنها محيدا

وما سيَّان مَنْ هوَ فى جحيم ... يكون شرابُهُ فيها صديدا

ومن هو فى الجنان يُدَرُّ فيها ... عليه الرزقُ مغتبطا حميدا

ويوم حنين

وقال أبوجروْل وهو رجل من هوازن كان من المشركين يوم حنين :

أنا أبو جروْل ولابراحُ ... حتى نُبيح القومَ أوْ نُبَاحُ

فقتله أمير المؤمنين وقال :

قد عَلِمَ القومُ لدَى الصِّياحِ ... أنى فى الهيجاء ذو نطاحِ

ولما قتل أمير المؤمنين حُيى بن أخطب قال لمن جاء به : ماكان يقول حيى وهو يقاد

إلى الموت ؟ قالوا كان يقول :

لعمرك مالام ابنُ أخْطَبَ نفسَهُ ... ولكنَّه مَنْ يَخذُلِ اللهَ يُخذَلِ

فجاهَدَ حتى بلَّغَ النفس جُهدَهَا ... وحاولَ يبغى العزَّ مُقلقلَ

(١) **طراً** : كلهم جميعاً.
(٢) **شيبة** : إشارة إلى ابن ربيعة .

وينسب إليه أنه قال :

عَرفتُ ومَنْ يعتَدِلْ يعْرف ... وأيقنتُ حقا فلم أصْدَف

عن الحكَم الصِّدق آياتُها ... من الله ذى الرأفة الأرْأف

رسائلُ تُدْرَسُ فى المؤمنينَ ... بهنَّ اصطفى أحمدَ المصطفى

فأصبح أحمدُ فينا عزيزاً ... عزيز المقامة والموقف

فيا أيها المُوعدُوه سفاهاً ... ولم يأت جوراً [1] ولم يعنف

ألستم تخافون أمرَ العذاب ... وماآمن اللهُ الأخْرف

وأن تُصرعوا تحت أسيافنا ... كمصرع كعب أبى الأشرف

غداةَ تَرائى لطُغْيانه ... وأعرضَ كالجمل الأجنَف

فأنزلَ جبريل فى قتله ... يوحى إلى عبده المُلطف

فدسَّ الرسول رسولا له ... بأبيض ذى ظبية مُرهَف

فباتت عيونٌ لهُ مُعولاتٌ ... متى يُنعَ كعبٌ لها تذرفَ

فقالوا لأحمد زُرْنا قليلاً ... فإنا منَ النوح [2] لم نشتف

فأجلاهُمُ ثم قال اظعنوا ... فتوحا على رغمة الآنف

وأجْلَى النضيرَ[3] إلى غُربَة ... وكانوا بدارة ذى زخرف

إلى أذْرِعَات فأردفهم ... على كل ذى دبر أعْجَف[4]

(١) **جوراً** : الجور هو الظلم .
(٢) **النوح** : هو الصياح على الميت .
(٣) **النضير** : هم بنو النضير وهم يهود .
(٤) **أعجف** : تطلق على الجمال.

قال مرحب اليهودى يوم خيبر :

قـد علمَتْ خـيـبـرُ أنى مـرحب ... شـاكى السـلاح بطلٌ مـجـرَّبُ

أطعَنُ أحـيـانا وحـينا أضـربُ ... إذا الليـوث أقـبلت تلتـهبُ

فقال الإمام رداً (كما ينسب إليه):

أنا الذى سـمـتنى أمى حـيـدَرَهْ ... ضـرغـامُ آجـام وليثُ قَـسْـوَرَهْ

عَـبْلُ الذراعـين شـديد القـصْـرَه ... كليث غـابات كـريه المنظره

على الأعـادى مـثل ريحٍ صرصـره

أكـيل لكم بالسـيف كَـيْلَ السندرهْ ... أضْـرِبُكُم ضَـرباً يبـينُ الفَـقْـرَه

وأترك القـرْنَ[1] بقـاع جَـزَره ... أضْـرب بالسَّـيْف رِقَـابَ الكَفَـرَه

ضـربَ غـلامٍ مـاجـدٍ جَـزْوَرَه ... مَنْ يتْـرك الحَقَّ يقُـومْ صَـغْـرَه

أقـتل منهم سـبـعـة أو عـشَـرَه ... فَكُلُّهم أهَل فُـسـوقٍ فـجَـرَه

وقال يوم خيبر :

هذا لكم من الغـلام الغـالـب ... منْ ضَـرْب صـدق وقـضـاء الواجب

وفـالق الهـامـات والمناكب ... أحـمى به قَـمـاَقم[2] الكـتـائبَ

وقال يوم خيبر يخاطب الربيع بن أبى الحقيق الخيبرى:

أنا علىٌّ وابن عـبـد المطّلب ... أحمى ذمارى[3] وأذبُّ عن حَـسَبْ

والموت خـيـر للفـتى من الهـرب

(١) **القرن** : هو الهمام البطل الشجاع.
(٢) **قماقم** : جمع.
(٣) **ذمارى** : هى الحرمة من الأهل.

وقال يوم خيبر وفيه تكرير لما مر :

أنا على وابن عـبـد المطلب ... مـهـذب ذو سطوة وذو حـسـب

قـرن إذا لاقـيت قـرنا لم أهب ... من يلقـنى يلقى المنايا والكرب

يوم صفين

وقال يوم صفين :

أبى الله إلا أن صـفـين دارنا ... وداركم مـالاح فى الأفق كـوكب

إلى أن تموتوا أو نموت ومـالنا ... ومالكم عن حومة[1] الحرب مهرب

وقال فى يوم بنى ذات العلم:

الليل هول يرهب المهـيـبـا ... ويذهل المشـجع اللبـيـبـا

فـإننى أهول منه ذيبـا ... ولست أخـشى الروع والخطوبا

إذا هززت الصـارم القـضـيـبـا ... أبصـرت منه عـجـبا عـجـيـبـا

وقال لما نزل معاوية بصفين:

لقـد أتاكم كـاشـرا[2] عن نـابه ... يهمط[3] الناس على اغـتـرابه

فليـتنا الدهر بما أتى به

قال الإمام على للأشتر ، بعد أن توجه إليه الأشتر فى صفين بالقول : ياأمير المؤمنين ، قد غلب الله لك على الماء ، فقال رضى الله عنه : أنتما كما قال الشاعر :

تلاقـين قـيـسا وأشـيـاعـه ... فـيـوقـد للحـرب نارا فنار

(١) **حومة** : من القتال أشد موضع فيه.
(٢) **كاشراً** : مبالغة فى الغضب.
(٣) **يهمط** : يظلم.

أخــو الحــــرب إن لقــحت بازلا   ســمــا للعــلا ، وأجــمل الخطار

برز أمير المؤمنين فى صفين ، ودعا معاوية لحقن الدماء ، ثم أبلى فى المعركة ، وقتل جماعة ، وأنشد :

فــهل لك فى أبى حـــسن علىٌّ   لعل الله يمكن من قــفــاكــمــا
دعــاك إلى البــرازفكفَــفْت عنه   ولـو بـارزتـه تـربتْ يـداكـــــا[١]

فى الحديث عن صفين أن جموع ربيعة حفت به وهو لايعلم ، فلما أذن مؤذن الإمام على الفجر قال على :

يامــرحــبــا بالقــائلين عــدلا
وبالصــلاة مــرحــبــا وأهلا

حث معاوية ، فى حرب صفين ، غلامه حريثا أن يغتال عليا ، رضى الله عنه فطير أمير المؤمنين قحفه فى الهواء ، وجعل يجول ويقول :

ألا احـذروا فى حـربكم أبا الحـسنْ
فــلا ترومــوه فــذا من الغبن[٢]
فـــــإنه يـدُقكُـمْ دقَّ الطَّـحنْ
ولايخـاف فى الهيـاج [٣]مَنْ ومَنْ

غدا أبو أيوب إلى القتال ، فى صفين ، فقال له على : أنت ، والله ، كما قال القائل :

وعـلَّـمنـا الحـــــــرْبَ آباؤنـا   وســــوف تُعلِّم أيضــا بَنينا

كتب على بن أبى طالب إلى معاوية ، فى حرب صفين : أما بعد ، فإنك وما

(١) تربت يداك : دعاء بالهلاء.
(٢) الغبن : النقص والضعف.
(٣) الهياج : الحرب.

ترى كما قال أوس بن حجر :

وكـائن يرى من عـاجـز مـتـضـعَّف   جنى الحرب يوما ثم لم يغن مايد
ألـم يعلم المهـدى الوعــيــد بأننى   ســريع إلى مـلا يُسـرُّبه قــر
وإن مكـانى لـلمـــــريدين بـارز   وإن برَّزونى ذو كـؤود [١]وذو حظ

وكتب إلى معاوية وهو بصفين أما بعد:

فـإنَّ للحـرب عــرامـا شــزرا   إن عليــهـا ســائقـا عَــشنْزرا[٢]
ينصف من أحـــجم وتنمــرا   على نواحـيـهـا مـزج زمـجـرا[٣]

إذا ونين ســاعــةً تَغَـشْـمــرا[٤]

وكتب على ـ كرم الله وجهه ـ إلى معاوية : أما بعد ، فقد ذقت ضر الحرب ، وأذقتها ، وأنى عارض عليكم ماعرض المخاوق على بنى فالج :

أيا راكــبــا إمـا عَـرضْت فـبلِّغَنْ   بنى فـالج حـيث اسـتـقـر قـراره
هلمـــوا إلينا لاتكونوا كـــأنكم   بلاقع [٥] أرض طار عنها غبـاره
شكيم بن منصـــور أناس بجــرَّة   وأرضــهـم أرض كـثـيـر دباره

وقال وهو بصفين :

ألـم تر قــومى إذ دعــاهم أخـوهم   أجابوا وإن يغضب على القوم يغضبوا
هم حفظوا غيبى كمـا كنت حـافظا   لقـومى أخـرى مـثلهـا إذ تغـيَّبـوا
بنو الحـرب لم تقـعـد بهم أمـهـاتهم   وآباؤهم آباء صـدْق فـأنجـبُـوا

(١) كؤود : صعب المرتقى.
(٢) عشنزاً : الشديد.
(٣) زمجرا : من ترديد الصوت فى الصدر ويدل على الغلظة.
(٤) تغشمرا : غضب غضبا شديداً.
(٥) بلاقع : أرض جدباء لازرع فيها.

أخو الحرب إن لقحت بازلا   سما للعلا ، وأجمل الخطار

برز أمير المؤمنين فى صفين ، ودعا معاوية لحقن الدماء ، ثم أبلى فى المعركة ، وقتل جماعة ، وأنشد :

فهل لك فى أبى حسن علىٍّ   لعل الله يمكن من قفاكما
دعاك إلى البراز فكفَّت عنه   ولو بارزته تربتْ يداكا[(١)]

فى الحديث عن صفين أن جموع ربيعة حفت به وهو لايعلم ، فلما أذن مؤذن الإمام على الفجر قال على :

يامرحبا بالقائلين عدلا
وبالصلاة مرحبا وأهلا

حث معاوية ، فى حرب صفين ، غلامه حريثا أن يغتال عليا ، رضى الله عنه فطير أمير المؤمنين قحفه فى الهواء ، وجعل يجول ويقول :

ألا احذروا فى حربكم أبا الحسنْ
فلا ترومـوه فـذا من الغبن[(٢)]
فإنه يدُقُّكُمْ دقَّ الطَّحنْ
ولايخاف فى الهياج[(٣)] مَنْ ومَنْ

غدا أبو أيوب إلى القتال ، فى صفين ، فقال له على : أنت ، والله ، كما قال القائل :

وعلَّمنا الحربَ آباؤنا   وسوف نُعلِّم أيضا بَنينا

كتب على بن أبى طالب إلى معاوية ، فى حرب صفين : أما بعد ، فإنك وما

---

(١) **تربت يداك** : دعاء بالهلاء.
(٢) **الغبن** : النقص والضعف.
(٣) **الهياج** : الحرب.

ترى كما قال أوس بن حجر :

وكائن يرى من عاجز متضعِّف   جنى الحرب يوما ثم لم يغن مايجنى
ألم يعلم المهدى الوعيد بأننى   سريع إلى ملا يُسرُّبه قرنى
وإن مكانى للمريدين بارز   وإن برَّزونى ذو كؤود[(١)] وذو حضنْ

وكتب إلى معاوية وهو بصفين أما بعد :

فإنَّ للحرب عراما شزرا   إن عليها سائقا عَشنْزرا[(٢)]
ينصف من أحجم وتنمرا   على نواحيها مزج زمجرا[(٣)]

إذا ونين ساعةً تَغَشْمرا[(٤)]

وكتب على ـ كرم الله وجهه ـ إلى معاوية : أما بعد ، فقد ذقت ضراء الحرب ، وأذقتها ، وأنى عارض عليكم ماعرض المخاوق على بنى فالج :

أيا راكبا إما عَرضْت فبلِّغَنْ   بنى فالج حيث استقر قرارها
هلموا إلينا لاتكونوا كأنكم   بلاقع[(٥)] أرض طار عنها غبارها
شكيم بن منصور أناس بجرَّة   وأرضهم أرض كثير دبارها

وقال وهو بصفين :

ألم تر قومى إذ دعاهم أخوهم   أجابوا وإن يغضب على القوم يغضبوا
هم حفظوا غيبى كما كنت حافظا   لقومى أخرى مثلها إذ تغيَّبوا
بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم   وآباؤهم آباء صدْقٍ فأنجبُوا

---

(١) **كؤود** : صعب المرتقى.
(٢) **عشنزراً** : الشديد.
(٣) **زمجرا** : من ترديد الصوت فى الصدر ويدل على الغلظة.
(٤) **تغشمرا** : غضب غضبا شديداً.
(٥) **بلاقع** : أرض جدباء لازرع فيها.

وقال فى حرب صفين وهو يبارز حريثاً قبل أن يقتله :

أنا عليٌّ وأنا ابن عبد المطَّلبْ ... نحنُ لَعَمْرُ الله أوْلى بالكُتُبْ
منَّا النبى المصطفى غيرُ كذب ... أهلُ اللواء والمقام والحُجُبْ
نحن نصرناه على جُلِّ العَرَب ... ياأيها العبدُ الغريرُ المُنْتَدَبْ

اثبت لنا ياأيها الكَلْبُ الكَلِبْ

وقال لحريث قبل أن يقتله :

أنا الغُلامُ العربى المنتسب ... من خير عود فى مُصَاص المطلب
ياأيها العبد اللئيم المُنْتَدب ... إن كُنتَ لِلمَوتِ محباً فاقترِبْ
واثبُتْ رويداً أيها الكَلْبُ الكَلِبْ ... أولا فَوَلٍّ هارباً ثم انقلبْ

روى أن معاوية كتب أيام صفين فى سهم أن معاوية يريد أن يفجِّر عليكم الفرات فيغرقكم وبعث مائتى رجل معهم المرور والزنابيل يحفرون ورماه فى عسكرعلى فأخبرهم على أنها حيلة ليزيلهم عن مكانهم فينزل فيه فوقف فيهم خطيباً وقال : « ويحكم ! لاتغلبونى على رأيى» فلم يقبلوا وارتحلوا فجاء معاويةونزل مكانهم وارتحل على وهو يقول :

فَلو أنى أطعْتُ عصبْتُ قومى ... إلى رُكْن اليمامة أو شآم
ولكنى إذَا أبْرَمْتُ[1] أمراً ... مُنيتُ بخُلف آراء الطغام[2]

وحمل عمرو بن الحصين المذكور على علىٍّ ليضربه فبادر إليه سعيد بن قيس ففلق صلبه فقال على :

ولَمَّا رأيتُ الخيل تُقْرَعُ بالقَنَا ... فوارسها حُمْرُ العيون دوامى
وأقبل رَهْجٌ فى السماء كأنَّه ... غمامةُ دَجْن مُلْبَس بقَتَام
ونادَى ابنُ هنْد ذا الكلاع ويَحْصُباً ... وكِنْدةَ فى لَخْمٍ وحَىَّ جُذامِ

(١) أبرمت : أبرمت أمراً أى أحكمته .
(٢) الطغام : العامة من الناس .

تيمَّمْتُ همْدان الذين هُمُ هُمُ ... إذا نابَ أمرٌ جُنَّتى وحِمامى
وناديتُ فيهم دعوةً فأجابنى ... فوارسُ من همدانَ غيرُ لئام
فوارسُ من همدانَ ليسوا بعُزَّل ... غداة الوغى من شاكر وشبام
ومن أرحب الشمُّ المطاعين بالقنا[1] ... ورَهْم وأحياء السبيع ويام
ومن كل حىٍّ قد أتتنى فوارس ... ذوو نجدات فى اللقاء كرام
بكل ردينىٍّ وعضْب تخاله ... إذا اختلف الأقوام شُعْلَ ضِرَام[2]
يقودهم حامى الحقيقة منهم ... سعيد بن قيس والكريم محامى
فخاضوا لظاها واصطلوا بشرارها ... وكانوا لدى الهَيْجا كَشَرْب مُدام[3]
جزى الله همدان الجنان فإنهم ... سِمامُ العدى فى كل خصام
لهَمْدَان أخلاقٌ ودينٌ يُزيِنُهم ... ولينٌ إذا لاقوا وحُسْنُ كَلام
وجدٌّ وصدقٌ فى الحروب ونجدة ... وقولٌ ، إذا قالوا بغير إثام
متى تأتهم فى دارهم لضيافة ... تبَتْ عندهم فى غِبْطة وطعام
ألا إنَّ هَمْدَان الكرام أعِزَّةٌ ... كما عَزَّ رُكْنُ البيت عِنْدَ مَقَام
أناسٌ يحبون النبىَّ ورهطهُ ... سراعٌ إلى الهيجاء غيرُ كَهَام
إذا كنتُ بوَّاباً على باب جَنَّة ... أقول لهَمْدان ادْخلُوا بسَلام

وروى أن عليا بعد ماقتل حريثا فولى معاوية برز إليه عمرو بن حسين السكسكى فنادى : ياأبا حسن هَلُمَّ إلى المبارزة فأنشأ علىٌّ يقول :

ماعلَّتى وأنا جلْدٌ حازم ... وفى يَمينى ذو غِرار صارمِ
وعن يمينى مُدْحجُ القماقم[4] ... وعن يسارى وائلُ الخَضَارمِ
والقَلْبُ حولى مُضَرُ الجماجم ... وأقبلت هَمْدانُ والأكَارمِ
أقسمتُ بالله العلى العالم ... لاأنثنى إلاَّ بِرَدِّ الرَّاغِم

(١) القنا : أى الرماح .
(٢) ضرام : اشتعال النار .
(٣) مدام : الخمر .
(٤) مدحج القماقم : الشجاع الذي يرتدي السلاح .

مشى الجمال البزل الخلاجم(١)

وقال فى بعض أيام صفين حين ندب أصحابه فانتدب له عشرة آلاف إلى اثنى عشر ألفا فتقدمهم علىٌّ على بغلة رسول الله - ﷺ - وهو يقول :

دُبُّوا دبيبَ النمل لاتفوتوا   وأصبحوا بحربكم وبيتوا
حتى تنالوا الثأرَ أو تموتوا   أوْلا فإنِّى طالما عُصيتُ
قد قلتم لو جئتنا فجيتُ   ليس لكم ماشئتم وَشيتُ
بل مايريدُ المحيى المميتُ

ندب علىٌّ - كرم الله وجهه - أصحابه فى بعض أيام صفين فتبعه منهم مابين عشرة آلاف إلى اثنى عشر ألفا وهو أمامهم وعلى بغلة رسول الله - ﷺ - فلم يبق لأهل الشام وصف إلا وانتقض حتى أفضوا إلى مضرب معاوية وعلىٌّ يضربهم بسيفه ويقول :

أضربهم ولا أرىَ معاوية   الأبرجَ العين العظيم الحاوية(٢)
هوت به فى النار أمٌّ هاوية   جاوَرَهُ فيها كلابٌ عاوية
أغوى طعاماً لاهدتْه هادية

وكتب امير المؤمنين إلى معاوية:

أصبحتَ مني يابن حَرب جاهلا   إن لم نرام منكم الكواهلاَ
بالحق والحق يزيل الباطلا   هذا لك العامَ وعام قابلا

وقال فى صفين بعد قتله أحمر مولى عثمان بعد ماقتل كيسان مولى على:

لهف نفسى وقليل ماأسر   ماأصاب الناس من خير وشر
لمْ أردْ فى الدَّهْر يوما حربَهم   وهم السَّاعونَ فى الشَّرِّ الأشر

(١) الخلاجم : الإبل .   (٢) الحاوية : البطن .

وقال رضى الله عنه إذ رأى همدان وغناءها فى الحرب يوم صفين:

نَاديتُ همدان والأبوابُ مُغلقة   مثلُ همدان سنى فَتْحة الباب
كالهندرانى ، لم تغلل مضاربة   وجهُ جميل ، وقلبُ غير وجَّاب

وقال لما مر بهاشم بن عقبة بن أبى وقاص من أصحابه قتيلا يوم صفين وأصحابه قتلى حوله :

جزى اللهُ عُصْبَةً أسْلَميَّةً   صباحَ الوجوه صُرعوا حولَ هاشم
شقيقٌ وعبدُ الله بشرٌ ومعْبَدٌ   وسفيانَ وابنا هاشم ذى المكارم
وعُروةُ لاينْأى فقدكان فارساً   إذا الحربُ هاجتْ بالقنا والصَّوارم
إذا اختلفَ الأبطالُ واشتبكَ القَنَا   وكان حديثُ القوم ضربَ الجماجم

وينسب إليه قوله بعد أن فر معاوية أمامه فى بعض أيام صفين وكر على ميسرة على وكان فيها يعبئ الناس فغير على لامته وجواده وصمد له معاوية ، فلما تدانيا انتبه له معاوية فغمز برجليه على جواده وعلى وراءه حتى فاته ودخل فى مصاف أهل الشام ، فأصاب علىٌّ رجلاً من مصافهم دونه ثم رجع وهويقول :

يالهْفَ نفسى فاتنى معاوية   فوق طرٌّ كالعُقاب الضاربة

وكان يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفيّن ويقول :

أىُّ يومَىَّ منَ الموت أفرّْ   يوم لايُقْدَرُ أوْ يومَ قُدرْ
يوم لايُقدَرُ لاأرْهبُهُ   وإذا قُدرَ لايُنْجى الحَذَرْ

وقال يوم صفين :

دبُوا دَبيب النملِ قدْ آنَ الظَّفَر(١)   لاتَتَكُلُوا فالحربُ تَرْمي بالشَّرَر
إنَّا جميعاً أهلُ صَبْرِ لاخَوَرْ

(١) الظفر : الانتصار .

وقال فى أيام صفين:

يا أيُّها السَّائلُ عن أصْحابى ... إنْ كُنت تبغى خيْرَ الصَّواب
أنْبئْكَ عنهم غيرَ ما تكْذاب ... بأنَّهُم أوْعيةُ الكتَاب
صُبُرٌ لَدَى الهَيجاءِ والضِّراب ... فَسَلْ بذاك مَعْشَرَ الأحزاب

ولما صدر على من صفين أنشأ يقول:

وكم قد تركنا فى دمشق وأهْلها ... من أشْمَطَ موتُور (١) وشَمْطَاءَ ثاكل
وغانية صَادَ الرماحُ خليلها ... فأضْحَتْ تُعَدّ اليوم بعضَ الأرامل
وتبكى على (٢) بعْلٍ لها راحَ غادياً ... وليس إلى يوم الحساب بقافل
وإنا أناس لا تُصيبُ رمَاحنَا ... إذا ما طعنّا القومَ غيرَ المقاتل

وقال حين بدت له عورة عمرو بن العاص لما برز إليه يوم صفين فصرف وجهه عنه :

ضرب ثنى الأبطال فى المشاعب ... ضرب الغلام البطل الملاعب
أين الضِّراب فى العجاج الثائب ... حين احمرار الحدق الثواقب
بالسيف فى نهنهة الكتائب ... والصبر فيه الحمد لله للعواقب

لما بلغ عمرو بن العاص مسير على إلى صفين قال :

لا تحسبنِّى ياعلىُّ غافلا ... لأوردنَّ الكوفة القنابلا

بجمعى العام وجمعى قابلا

(١) **موتور** : الذي عليه الثأر
(٢) **بعل** : هو الزوج

فبلغ ذلك علياً رضى الله عنه فقال:

لأوردن العاصى ابن العاصى ... سبعين ألفا عاقدى النواصى
مستحلقين حلق الدلاص (١) ... قد جنبوا الخيل مع القلاص

آساد غيل حين لا مناص

وقال عمرو بن العاص فى بعض أيام صفين :

شُدُّوا علىَّ شكَّتى لا تنكشفْ ... بعدُ طليحٍ والزُّبير فأتَّلف
يومٌ لهمْدان ويوم للصُّدف ... وفى تميم نخوةٌ لا تنصرف
أضربها بالسيف حتى تنصرف ... إذا مشيت مشية العود الصَّلف
ومثلها لحمير أو تنحرف ... والربعيُّون لهم يومٌ عَصِف

فاعترضه على وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل ... والخصر والأنامل الطُّفول (٢)
أنى بنصل السيف خنشليل ... أحمى وأرمى أول الرَّعيل

بتَّار وليس بذى فلول

أقبل الحضين بن المنذر وهو يومئذ غلام يزحف برايته وكانت حمراء فأعجب عليا زحفه فقال :

لنا الراية الحمراء يخفق ظلها ... إذا قيل قَدِّمْهَا حُضَينْ تقدَّما
ويدنو بها فى الصُّحْف حتى يزيرها ... حمامَ المنايا تقطُرُ الموتَ والدَّما
تراه إذا ما كان يوم كريهة ... أبى فيه إلا عزةً وتكرُّما
وأحزم صبرا حين يدعى إلى الوغى (٣) ... إذا كانَ أصْواتُ الكُماة (٤) تَغَمْغُما
وقد صبرت عنك لخمٌ وحمْير ... لمذْحجَ حتى أورثُوها التندُّما
ونادت جذام يالمذحج ويلكم ... جزى اللَّهُ شراً أيَّنا كانَ أظلَمَا
أما تتقون الله فى حُرماتكم ... وما قرب الرحمن منها وعظَّما

(١) **الدلاص** : الدروع القوية. (٢) **الطفول**: الملساء.
(٣) **الوغى** : الميدان (٤) **الكماة** : من يرتدي السلاح.

جزى الله قوماً قاتلوا فى لقائهم ... لذى البأس خيراً ما أعفَّ وأكرما
ربيعةُ أعنى إنهُمْ أهْلُ نَجْدَةَ ... وبأسٍ إذا لاقوا خميساً عَرَمْرَمَا
أذَقْنا ابنَ حَرْبٍ طَعْنَنَا وضِرابَنَا ... بأسيافنا حتى تولَّى وأحجما
وحتَّى يُنادى زُبْرقَانَ بنَ أظْلَم ... ونادى كلاعاً والكريب وأنعَمَا
وعَمْراً وسُفياناً وجَهْماً ومالكاً ... وحَوْشَبَ والغاوى شُريحاً وأظلما
وكَرْزُ بنُ نَبْهَانٍ وعمر بنِ جُحْدُرٍ ... وصبَاحاً القَينى يدْعُو وأسْلَمَا

حرب الجمل

قال الإمام وهو بذى قار متوجها إلى حرب الجمل حين بلغه مالقيته ربيعة من القتل بمحاربتها لأصحاب عائشة وخروج عبدالقيس من ربيعة مع حكيم بن جبلة لنصرة عثمان بن حنيف عامله على البصرة:

يالهف نفسى قتلت ربيعة ... ربيعة السَّامعة المطيعة
قد سبقتنى فيهم الوقيعة ... دعا حكيم دعوة سميعة
من غير مابطل ولاخديعة ... حلُّوا بها المنزلةَ الرفيعةْ

وقال بعد فراغه من حرب الجمل:

إليك أشكو عجزى وبجرى[1] ... ومعشرا غشوا على بصرى
إنى قتلت مضرى بمضرى ... شفيت نفسى وقتلت معشرى

وقال لمحمد بن الحنفية فى حرب الجمل:

إقْحَمْ فلا تَنَالُكَ الأسنَّةْ[2] ... وإنَّ للموتِ عليك جُنَّةْ

(١) **عجري وبجري**: أي الهموم والأحزان.

(٢) **الأسنة**: أي سن الرمح.

وقال:

اليوم أبلُو حَسَبى ودينى ... بصارمٍ تحمله يمينى
عند اللقاء أحمى به عرينى[1]

وينسب إليه أنه قال فى جواب معاوية:

إن كُنتَ ذا علْم بما اللهُ قضى ... فاثْبتْ أصادقْكَ وسيفى مُنْتَضَى
واللهُ لايُرجعُ شيئاً قد مضى ... واللهُ لايُبْرم شيئاً نَقَضاً

لما ظفر أمير المؤمنين فى موقعة الجمل:أنشأ الوليد بن عقبة:

ألا أيها الناسُ عندى الخبرْ ... بأنَّ الزبيرَ أخاكُمْ غَدَرْ
وطلحةَ أيضاً حذا فعْلَهُ ... ويَعْلى بنَ مُنْبهِ فيمنَ نَفَرْ

يقول: فأنشأ على ـ رضى الله عنه ـ أبياتاً منها:

فتنٌ تَحلُّ بهم ، وهُنَّ شوارعُ ... يُسقَى أواخرُها بكأس الأوَّل
فتَنٌ إذا نزلَتْ بساحة أمَّة ... أذنَت بعدْلٍ بينهم مُتنقلِ

خرج عبد الله بن اليثربى فى حرب الجمل قائلا:

يارب إنى طالبٌ أبا الحَسَنْ
ذاكَ الذى يُعْرَفُ حقاً بالفتنْ

فبرز إليه على ـ رضى الله عنه ـ قائلا:

إن كنت تبغى أن ترى أبا الحسن
فاليومَ تلقاهُ مليّاً فاعْلَمَنْ

قال الإمام يوم الجمل لمحمد بن الحنفية ـ رضى الله عنهما ـ بعد الوصية:

(١) **عرينى**: العرين هو بيت الأسد.

بالمشرفي (١) والقنا المسدد ... والضرب بالخطي والمهند (٢)

من أحداث الهجرة

عن الحسن البصري : أنه -رضي الله عنه- سهر تلك الليلة (ليلة مقتله) ولم يخرج لصلاة الليل على عادته فقالت أم كلثوم : ماهذا السهر ؟ قال : إني مقتول لو قد أصبحت ، فقالت : مروا جعدة فليصل بالناس ، قال : نعم مروا جعدة فليصل ثم مرَّ وقال : لامفر من الأجل وخرج قائلا :

خلُّوا سبيلَ المؤمن المجاهد ... آليتُ لاأعبد غيرَ الواحد

وروى أنه لما أراد الهجرة إلى المدينة قال له العباس : إن محمدا ماخرج إليه خفية وقد طلبته قريش تشد الطلب وأنت تخرج جهاراً في إثاث وهوادج ومال ورجال ونساء تقطع بهم السباسب (٣) والشعاب بين قبائل قريش ماأرى لك وأرى لك أن تمضي في خفارة خزاعة فقال علي :

إنَّ المنيَّةَ شَربةٌ مورودةٌ ... لاتجزعنَّ وشُدَّ للترحيل

إن ابنَ آمنةَ النبيَ محمداً ... رَجُلٌ صَدُوقٌ قال عن جبريل

ارخِ الزِّمانَ ولاتَخَفْ منْ عائقٍ ... فاللّه يرديهم عن التنكيل

إني بربي واثق وبأحمد ... وسبيله متلاحق بسبيلي

وينسب إليه أنه قال :

سيكفيني المليكُ وحدُّ سيف ... لدى الهيجاء يحسَبُه شهابا

وأسمر من رماح الحظ لدن ... شددتُ غرابه أن لايحابا

أذود به الكتيبة كل يوم ... إذا ما الحرب تضطرم التهابا (٤)

وحولي معشر كرموا وطابوا ... يرجُّون الغنيمة والنهابا (٥)

(١) **المشرفي** : اسم سيف . (٢) **المهند** : اسم من أسماء السيف (٢) **السباسب** : المكان البعيد القفر (٤) **تضطرم** : اشتدت وهاجت . (٥) **النهابا** : السلب .

ولاينجون من حذر المنايا (١) ... سؤال المال فيها والإيابا

فدع عنك التهدد واصل نارا ... إذا خمدت صليت لها شهابا (٢)

وقال :

دونكما مترعةً (٣) دهاقا ... كأساً فارغاً موجت زعاقا

إنا لقوم مانرى مالاقى ... أقد هاماً وأقط ساقا

خرج يوم النهروان رجل من الخوارج فحمل على الناس وهو يقول :

أضربكم ولو أرى أبا الحَسَن ... ألبسته صارمي ثوب الغَبَنْ (٤)

فخرج الإمام وهو يقول :

ياأيها المبتغي أبا الحسن ... إليك فانظر أينا يلقى الغبن

وحمل عليه علي وشكه بالرمح وتركه فيه وانصرف وهو يقول أنا أبو الحسن فرأيت ماتكره .

وقد حمل رجل من الخوارج يوم النهروان على أصحاب علي ويقول :

أضربكم ولو أرى عليا ... ألبسه أبيض مشرفيا

فخرج إليه وهو يقول:

ياأيها المبتغي عليا ... إني أراك جاهلا شقيا

قد كنت عن كفاحه غنيا ... يمنعه أبيض مشْرَفيّا

مهذبا سَمَيْدَعا كَميّا (٥) ... هَلُمَّ فابرزْ هاهنا إليّا

وقال:

ياذا الذي يطلب مني الوترا ... إن كنت تبغي أن تزور القبرا

حقا وتصلى بعد ذاك الجمرا ... فادن تجدني أسداً هزَيرا (٦)

(١) **المنايا** : مفردها منية أي الموت . (٢) **شهابا** : الشعلة الساطعة من النار .
(٣) **مترعة** : أي المملوءة . (٤) **الغبن** : الذل .
(٥) **سميدعاكميا** : الذي يرتدي السلاح . (٦) **هزيرا** : أي الأسد الشجاع .

أسعطك اليوم زعافا (١) مرا ... لاتحسبني يابن عاص غرا

وينسب إليه :

كأساد (٢) غيل وأشبال خيس (٣) ... غداة الخميس ببيض صقال
تجيدُ الضرابَ وحزَّ الرقاب ... أمام العقاب غداةَ النزالَ
تكيد الكذوبَ وتخزى الهيوبَ ... وتروي الكعوبَ دماءُ القذال (٤)

وينسب إليه :

ولاخير فى الشكوى إلى غير مشتكى ... ولابدَّ من شكوى إذا لم يكن صَبْرُ

وقال فى الخلافة :

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم ... فغيرك أولى بالنبيّ وأقرب

وله :

فرض الإمامة لى من بعد أحمدنا ... كالدَّلو عُلّقت التكريب والوذما
لافى نبوته كانوا ذوى ورع ... ولارَعَوا بعده إلاَّ ولاذمَمَا
لو كان لى جابر سرعان أمرهمُ ... خلبْتُ قومى ، فكانوا أمةً أمَمَا

---

(١) **زعافا** : المراد به المنية أى الموت
(٢) **آساد** : جمع أسد
(٣) **خيس** : اسم موضع للأسد
(٤) **القذال** : مؤخرة الرأس (القفا)

بابـ : حسن الخلق

ينسب إلى الإمام ـ رضى الله عنه ـ هذا الشعر :

حَقيقٌ بالتَّواضُعِ مَنْ يَمُوتُ ... وَيَكْفي المرْءَ مِنْ دُنْيَاهُ قُوتُ
فَمَا للمَرء (١) يُصْبحُ ذا هُمُوم ... وَحِرْصٍ لَيْسَ تُدْرِكُهُ النُّعُوتُ؟
صَنِيعُ مَليكِنا حَسَنٌ جَمِيلٌ ... وَمَا أرْزَاقُنا عَنَّا تَفُوتُ

أريدُ بذَاكُمْ أنْ تهشوا (٢) لطلعتى ... وأنْ تُكثروا بَعْدى الُدعاءَ عَلَى قَبْرى
وأنْ تَمنحونى فى المَجَالسِ وُدّكم ... وإنْ كُنْتُ عَنْكُمْ غَائباً تُحْسِنُوا ذكْرى

وقال :

لاتُفْسِدَنْ سَابقَ إحْسَانٍ مَضَى ... واللّهُ لايُغْلَبُ فِيمَا قَدْ قَضَى

روى أنه أمر يوم صفين رجلا من أصحابه يقال له : عبد العزيز بن الحارث أن يذهب إلى جماعة من أصحابه اقتطعهم أهل الشام ويبلغهم رسالة أمير المؤمنين فأجاب أمره فقال :

سَمَحْتَ بأمْرٍ لاَ يُطاقُ حَفِيظَةً ... وَصِدْقاً وإخْوانُ الحِفَاظ قَلَيلُ
جَزاكَ إلَهُ النَّاسِ خَيْراً فَقَد وفَتْ ... يَدَاكَ بِفَضْلٍ مَا هُناكَ جَزِيلُ (٣)

وقال:

إذَا رُمتَ أنْ تُعْلى فزُرْ مُتَواتراً ... وإنْ شئتَ أنْ تَزْدادَ حُبّاً فَزُرْ غِبّاً
مُنادَمَةُ الإنْسَانِ تَحْسُنُ مَرَّةً ... وَإنْ أكثَرُوا إدمَانَها أفْسَدوا الْحُبّا

وقال :

لاتَضَعِ المَعْرُوفَ فى سَاقط ... فَذَاكَ صَنيعٌ سَاقطٌ ضَائعُ
وَضَعْهُ فى حُرٍّ كَرِيمٍ يَكُنْ ... عَرْفُكَ مِسْكاً عَرْقُه ضائعُ
كن ابن من شئت واكتسب أدباً ... يغنيك مَحْمُودُه عن النَّسب

---

(١) **المرء** : الشخص .
(٢) **تهشوا** : من السرور .
(٣) **جزيل** : الكثير العظيم من كل شىء .

فَلَيْسَ يُغْنِى الْحَسِيبَ نِسْبَتُهُ ... بِلا لِسَانٍ لَهُ وَلاَ أَدَبِ
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَا أَنَا ذَا ... لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِى

ومماينسب إليه :

أَيُّهَا الْفَاجِرُ جَهْلاً بِالنَّسَبْ ... إِنَّمَا النَّاسُ لأُمٍّ وَأَبْ
هَلْ تَرَاهُمْ خُلِقُوا مِنْ فِضَّةٍ ... أَمْ حَدِيدٍ أَوْ نُحَاسٍ أَمْ ذَهَبْ
بَلْ تَرَاهُمْ خُلِقُوا مِنْ طِينَةٍ ... هَلْ سِوَى لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَعَصَبْ
إِنَّمَا الْفَخْرُ لِعَقْلٍ ثَابِتٍ ... وَحَيَاءٍ وَعَفَافٍ وَأَدَبْ

وقال :

أُصِمُّ عَنِ الْكَلِمِ الْمُحْفِظَاتِ ... وَأَحْلُمُ وَالْحِلْمُ بِى أَشْبَهُ
وَإِنِّى لأَتْرُكُ حُلْوَ الْكَلاَمِ ... لِئَلاَّ أُجَابَ بِمَا أَكْرَهُ
إِذَا مَا اجْتَرَرْتُ سِفَاهَ السَّفِيهِ ... عَلَىَّ فَإِنِّى أَنَا الأَسْفَهُ
فَلاَ تَغْتَرِرْ بِرُوَاءِ الرِّجَالِ ... وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ أَوْ مَوَّهُوا
فَكَمْ مِنْ فَتًى يُعْجِبُ النَّاظِرِينَ ... لَهُ أَلْسُنٌ وَلَهُ أَوْجُهُ[1]
يَنَامُ إِذَا حَضَرَ الْمَكْرُمَاتُ ... وَعِنْدَ الدَّنَاءَةِ يَسْتَنْبِهُ

وقال :

نَحْنُ الْكِرَامُ بَنُو الْكِرَا ... مِ وَطِفْلُنَا فِى الْمَهْدِ يُكْنَى
إِنَّا إِذَا قَعَدَ اللِّئَا ... مُ عَلَى بِسَاطِ الْعِزِّ قُمْنَا

وينسب إليه:

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً ... فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ أَغْلَى وَأَنْبَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الأَرْزَاقُ حَظًّا وَقِسْمَةً ... فَقِلَّةُ حِرْصِ الْمَرْءِ فِى الْكَسْبِ أَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الأَمْوَالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُهَا ... فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْحُرُّ يَبْخَلُ

(١) **وله أوجهه** : دلالة وعلامة على النفاق.

عَلَيْكُمْ سَلاَمُ اللَّهِ يَا آلَ أَحْمَدٍ ... فَإِنِّى أَرَانِى عَنْكُمُ سَوْفَ أَرْحَلُ

وقال :

مَا وَدَّنِى أَحَدٌ إِلاَّ بَذَلْتُ لَهُ ... صَفْوَ الْمَوَدَّةِ مِنِّى آخِرَ الأَبَدِ
وَلاَ قَلاَنِى وَإِنْ كَانَ الْمُسِىءَ بِنَا ... إِلاَّ دَعَوْتُ لَهُ الرَّحْمَنَ بِالرَّشَدِ
وَلاَ ائْتُمِنْتُ عَلَى سِرٍّ فَبُحْتُ بِهِ ... وَلاَ مَدَدْتُ إِلَى غَيْرِ الْجَمِيلِ يَدِى

وقال فى التأنى:

الرِّفْقُ يُمْنٌ وَالأَنَاةُ سَعَادَةٌ ... فَتَأَنَّ فِى أَمْرٍ تُلاَقِ نَجَاحَا

وقال:

حَرِّضْ بَنِيكَ عَلَى الآدَابِ فِى الصِّغَرِ ... كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِى الْكِبَرِ
وَإِنَّمَا مَثَلُ الآدَابِ تَجْمَعُهَا ... فِى عُنْفُوَانِ[1] الصِّبَا كَالنَّقْشِ فِى الْحَجَرِ
هِىَ الْكُنُوزُ الَّتِى تَنْمُو ذَخَائِرُهَا ... وَلاَ يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْغِيَرِ
إِنَّ الأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ ... يَهْوِى إِلَى فُرُشِ الدِّيبَاجِ وَالسُّرُرِ
النَّاسُ صِنْفَانِ ذُو عِلْمٍ وَمُسْتَمِعٌ ... وَاعٍ وَسَائِرُهُمْ كَاللَّغْوِ وَالْعَكَرِ

وينسب إليه : انه قال :

لَوْ صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ نَفْسٌ عَلَى قَدَرٍ ... لَعَادَ مِنْ فَضْلِهِ لَمَّا صَفَا ذَهَبَا
مَا لِلْفَتَى حَسَبٌ إِلاَّ إِذَا كَمُلَتْ ... أَخْلاَقُهُ وَحَوَى الآدَابَ وَالْحَسَبَا
فَاطْلُبْ - فَدَيْتُكَ - عِلْمًا وَاكْتَسِبْ أَدَبًا ... تَظْفَرْ يَدَاكَ بِهِ وَاسْتَعْجِلِ الطَّلَبَا
لِلَّهِ دَرُّ فَتًى أَنْسَابُهُ كَرَمٌ ... يَا حَبَّذَا كَرَمٌ أَضْحَى لَهُ نَسَبَا
هَلِ الْمُرُوءَةُ إِلاَّ مَا تَقُومُ بِهِ ... مِنَ الذِّمَامِ[2] وَحِفْظِ الْجَارِ إِنْ عَتَبَا
مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ دِينُ الْمُصْطَفَى أَدَبًا ... مَحْضًا تَحَيَّرَ فِى الأَحْوَالِ وَاضْطَرَبَا

(١) **عنفوان** : شدة.
(٢) **الذمام** : العهد والأمان.

وينسب إليه :

وإذا طلبتَ إلى كـريم حـاجـةً ... فلقـاؤه يكفـيك والتـسليم

وإذا رآك مُـسلمـا ذكـرَ الذى ... حـمَلتـه فكأنه مـبـروم

وقال :

خـاطر بنفسك لاتقـعـد بمعـجـزة ... فليس حُـرٌّ على عـجـز بمعـذور

إن لم تنل فى مـقـام مـاتحـاولهُ ... فـأبد عـذرا بإدلاج وتهـجـيـر

ودخل عليه الأشعث بن قيس بصفين وهو قائم يصلى فقال له : ياأمير المؤمنين أدؤوب بالليل ودؤوب بالنهار فانفتل من صلاته وهو يقول :

اصبـر من تعب الإدلاج والسـهـر ... وبالرَّواح[1] على الحاجـات والبكر

لاتضـجـرنَّ ولايحـزنك مطلبـهـا ... فـالنُّجْحُ يتلف بين العجز والضجر

إنِّى وجـدت ـ وفى الأيام تجـربة ـ ... للصبـر عـاقـبـة محـمـودة الأثر

وقلَّ منْ جـدَّ فى أمـرٍ يطالبـه ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظَّفَرْ[2]

وينسب إليه :

لَنَقْل الصَّـخـر من قُلل الجـبـال ... أحبُّ إلىَّ من مِنَنَ الرجـال

يقـول الناس لى فى الكسب عـار ... فـقلت : العـارَ فى ذل السـؤال

بَلوتُ الناس قـرْنا بعـد قـرن ... ولـم أر مـثل مـخـتـال[3] بمـال

وذقت مـرارة الأشـيـاء طرّاً ... فـمـا طَعْم أمـرُّ من السـؤال

ولـم أر فى الخطوب[4] أشـده هولا ... وأصـعب من مـقـالات الرجـال

---

(١) **الرواح** : السير فى العشى .
(٢) **الظفر** : النصر .
(٣) **مختال** : المفتخر .
(٤) **الخطوب** : المعارك الضارية .

وقال :

لاتطلبنَّ مـعـيـشـةً بمذلَّة ... واربأ بنفـسـك عن دنىِّ المطلَب

وإذا افـتـقـرتَ فـداو فـقـرك بالغنى ... عن كل ذى دنس كـجلد الأجْـرَب

فلَيَـرْجـعَنَّ إليك رزقُكَ كُلُّهُ ... لو كـان أبعـدَ من مـقـام الكوكب

وقال :

إذا أظمـأتْكَ أكُفُّ الرّجـال ... كَـفَـتْكَ القناعـةُ شـبْـعـاً وريَّا

فكـن رجـلا رجلُهُ فى الثـرى ... وهامـة همَّـتـهُ فى الثُّـريَّا

أبـيّـا لـنـائـل ذى ثـروة ... تـراه لما فـى يديه أبيّـا[1]

فـإنّ إراقـةَ مـاء الحـيـاة ... دون إراقـة مـاء المحـيَّـا

وينسب إليه :

كنْ للمكاره بالعـزاء مُـقَطِّعـاً ... فلعلَّ يومـاً لاترى مـاتكْرَه

فَلَرُبَّمـا اسْتَـتَـرَ الفتى فـتَنَافستْ ... فـيـه العـيـون وإنه لممـوّهٌ

ولربما اخْـتـزن الكريمُ لسـانَهُ ... حـذر الجـواب وإنه لَمُـفـوَّه

ولربَّمـا ابْتَسَمَ الوقور[2] مـن الأذى ... وفـؤادُهُ من حَـرِّهِ يتـأوَّهُ

وينسب إليه:

إذا مـاشـئـت أن تحـيـا ... حـيـاةً حُلْوَةَ المـحْـيـا

فـلا تحـسُـدْ ولاتبـخلْ ... ولاتحـرصْ على الدُّنيـا

وينسب إليه :

تنزَّهْ[3] عن مُـجـالسـة اللئـام ... وألـممْ بـالكـرام بـني الكـرامِ

ولاتك واثـقـاً بالدَّهْر يومـاً ... فـإنَّ الدَّهـرَ مُنْحلُّ النظام

ولاتحـسُـدْ على المعـروف قـومـاً ... وكـن منهـم تـنل دار السـلام

---

(١) **أبيا** : متنزهاً .
(٢) **الوقور** : الحليم .
(٣) **تنزه** : بعد عنه .

وثِقْ بالله ربكَ ذى المعالى ... وذى الآلاء والنِّعم الجسام

وكُن للعلم ذا طلب وبحث ... وناقشْ فى الحلال وفى الحرام

وبالعوراء لاتنطق ولكنْ ... بما يُرضى الإله من الكلام

وإن خان الصَديقُ فلا تخنه ... ودُم بالحفظ منه وبالذمام

ولاتحمل على الإخوان ضِغْناً[1] ... وخذ بالصفحِ تنجُ من الآثام

وقال:

إذا كنتَ فى نعمة فارْعَها ... فإنَّ المعاصى تُزيلُ النِّعَمْ

وحافظْ عليها بتقوى الإله ... فإنَّ الإلهَ سريعُ النِّقَمْ

فإنْ تُعْطِ نفسك آمالها ... فعندَ مُناها يحلُّ النَّدمْ

فأين القرون ومَنْ حولَهُمْ ... بَقَاتُوا جميعاً وربى الحَكَمْ

وكن موسراً شئتَ أوْ مُعْسِراً ... فما تقطَعُ العيشَ إلا بهمّ

فكم آمنٌ عاشَ فى نعمة ... فما حسَّ بالفقر حتى هَجَم

حلاوةُ دُنياك مسمومةٌ ... فلا تأكل الشَّهْدَ إلا بسُمّ

محامد دنياك مذمومةٌ ... فلا تكسب الحمدَ إلا بذمّ

إذا تمَّ أمرٌ بدا نقصه ... توقَّ زوالاً إذا قيلَ تَمّ

وكم قدَر دبَّ فى غفلة ... فلم يشعر الناس حتى التَهَمْ

وينسب إليه:

إنَّ المكارمَ أخلاقٌ مُطهَّرةٌ ... فالدينُ أولُها والعقْلُ ثانيها

والعلمُ ثالثُها والحلمُ رابعُها ... والجودُ خامسُها والفضلُ ساديها

---

[1] **ضغناً**: من الضغينة أى الحقد والحسد

والبرُّ سابعها والصبرُ ثامنُها ... والشكر تاسعها واللينُ باقيها

والنَّفسُ تعْلَمُ أنّى لا أصادقُها ... ولستُ أرشدُ إلا حينَ أعصيها

والعين تعلم من عينى مُحدِّثها ... إن كان من حزبها أو من يعاديها

عيناك قد . دلَّتا عيناى منك على ... أشياء لولاهُما ماكنتَ تُبديها

وقال مخاطبا ولديه الحسن والحسين:

تَردَّ رداءَ الصبر عند النوائب ... تنلْ من جميل الصبر حُسنَ العواقب

وكن صاحباً للعلم فى كل مشهد ... فما الحلمُ إلا خيرَ خدْن وصاحب

وكن حافظا عهدَ الصديق وراعياً ... تذقْ من كمال الحفظ صفْوَ المشارب

وكن شاكراً لله فى كل نعمة ... يُثبكَ على النُّعمى جزيلَ المواهب

وماالمرء إلا حيثُ يجعل نفسَهُ ... فكن طالباً فى الناس أعلى المراتب

وكن طالباً للرزق من باب حلّه ... يُضاعف عليك الرزقُ من كل جانب

وصنْ منكَ ماءَ الوجه لا تَبْذُلَنَّهُ ... ولاتسأل الأرذالَ فضلَ الرغائب

وكُن موجبا حق الصَديق إذا أتى ... إليكَ ببرٍّ صادق منك واجب

وكن حافظا للوالدين وناصراً ... لجارك ذى التقوى وأهل التقارب

وقال:

الفضلُ من كرم الطبيعة ... والمنُّ مَفْسَدَةُ الصَّنيعة

والخيرُ أمنع جانباً ... من قمَّة الجبل المنيعة

والشر أسرع جرية ... من جَرْية الماء السريعة

ترْكُ التَّعَاهد . . للصديق ... يكونُ داعيةَ القطيْعَة

لاتَلْتَطخ بوقيعة ... فى الناس تلطخك الوقيعة

إن التَّخلقَ ليس يمكث ... أن يؤول[1] إلى الطبيعة

---

[1] **يؤول** : يرجع .

جُبِلَ الأنامُ من العباد … على الشريفةِ والوضيعةْ

وقال :

وكُنْ معدناً للحلم واصفحْ عن الأذى … فإنكَ لاقٍ ما عملتَ وسامعُ

أحبَّ إذا أحببتَ حباً مُقارباً … فإنكَ لاتدرى متى أنتَ نازع

وأبْغضْ إذا أبْغَضْتَ بغضاً مقارباً … فإنكَ لاتدرى متى أنتَ راجعُ

وقال :

صَبَرْتُ عن اللذات لمّا تولّت … والزمْتُ نفسى صبرها فاستَمرّت

ومالمرء إلا حيث يجعل نفسهُ … فإنْ طمعَتْ تاقت(١) وإلا تسلّت(٢)

وقال :

دواؤُكَ فيك وماتُبْصرُ … وداؤكَ منك وما تشعُرُ

وتحسبُ أنكَ جرمٌ صغير … وفيك انطوى العالم الأكبر

فأنتَ الكتابُ المبينُ الذي … بأحرُفه يظهرُ المضمرُ

وماحاجةٌ لك من خارجٍ … وفكرُكَ فيك وماتصدرُ

وقال:

صن النفس واحملها على مايُزينُها … تعشْ سالماً والقولُ فيك جميلُ

ولاتُريَنَّ الناس إلا تجمُّلاً … نبا (٣) بك دهرٌ أو جفاك (٤) خليلُ

وإن ضاق رزقُ اليوم فاصبرْ إلى غدٍ … عسى نكباتُ الدّهر عنك تزولُ

يعزُّ غنىُّ النفس إن قلَّ مالُهُ … ويغْنَى غنىُّ المال وهو ذليلُ

ولاخيرَ فى وُدِّ امرئٍ مُتلوِّنٍ … إذا الريحُ مالتْ مال حيث تميلُ

(١) **تاقت** : أرادت وتمنت.
(٢) **تسلت** : نفرت وابتعدت.
(٣) **نبا** : دلاله على سوء الحال.
(٤) **جفاك** : هجرك.

جوادٌ إذا استغنيت عن أخذ ماله … وعند احتمال الفقر عنك بخيل

فما أكثر الإخوان حين تَعدُّهُم … ولكنَّهم فى النائبات قليلُ

وينسب إليه :

الغنَى فى النفوس والفقرُ فيها … إن تَجزّتْ فقل مايُجزّيها

عَلِّلْ النفس بالقنوع وإلاَّ … طلبتْ منك فوق مايكفيها

ليس فيما مضى لافى الذى لم … يأت مَنْ لذة لُمستحليها

إنما أنت طولُ عمرك ماعمَّرت … بالسَّاعة التى أنت فيها

ومما ينسب إليه :

أحْمَدُ ربى على خصال … خَصَّ بها سادةَ الرجال

لُزومُ صبر وخلْعُ كِبْر … وصونُ عرْضٍ وبَذْلُ مالَ

وينسب إليه : أنهَ قال :

غُضَّ عيناً على القَذَى … وتَصَبَّرْ على الأذى

إنما الدَّهر ساعةٌ … يقْطع الدَّهرُ كُلَّ ذا

وينسب إليه قوله :

ومُحتَرس من نفسه خوفَ زلَّة … تكون عليه حُجةٌ هى ماهيا

فقَلص(١) بُرْدَيْه وأفضَى بقلبه … إلى البرِّ والتقوى فنال الأمانيا

وجَانَبَ عن أسْباب السفاهة والخنا (٢) … عفافا وتنزيهاً فأصبح عاليا

وصان عن الفحشاء نفساً كريمةً … أبَتْ همَّةٌ إلا العلا والمعاليا

تراه إذا ماطاش ذو الجهل والصِّبا … حليما وقوراً صائنَ النفس هاديا

له حلمُ كهْلٍ فى صرامة حازمٍ … وفى العين إن أبصرتَ أبصرتَ ساهياً

(١) **قلص** : كشف.
(٢) **الخنا** : السوء.

يروقُ صفاءُ الماء منهُ بوجهه — فأصبح منه الماءُ فى الوجه صافياً
ومنْ فضله يرعى ذماما لجاره — ويحفظُ منه العهدَ إذ ظلَّ راعياً
صبوراً على صرف الليالى وذرْئها — كتوما لأسرار الضمير مُدارياً
لهُ همةٌ تعلو كُلَّ همة — كما قد علا البدرُ النجومَ الدّراريا

وينسب إليه :

قدِّمْ لنفسك فى الحياة تزوُّدا — فلقد تُفارقُها وأنتَ مُودِّعُ
واهْتَمَّ للسفر القريب فإنه — أنْأى (1) من السفر البعيد وأشْسعُ
واجعل تزوُّدكَ المخافةَ والتقى — وكأنَّ حتفك من مسائكَ أسرعُ
واقْنعْ بقوتك فالقناع هو الغنى — والفقرُ مقرونٌ بمن لايقنعُ
واحذر مصاحبةَ اللئام فإنهم — منعوك صفوَ ودادهم وتصنعوا
أهل التصنُّع ما أنلْتَهُم الرضى — وإذا مَنَعْتَ فسُمُّهُم لك مُنقعُ
لاتُفْش سراً ماستطعتَ إلى امرئ — يُفشى إليك سرائراً تُستَودَعُ
فكما تراه بسرِّ غيرك صانعاً — فكذا بسرك لامحالةَ يصنعُ
لاتبْدَأنَّ بمنطق فى مجلس — قبل السؤال فإن ذاك يُشنَّعُ
فالصمتُ يحسن كلَّ ظنٍّ بالفتى — ولعلَّه خرقٌ سفيهٌ أرْقَعُ
ودَعِ المزاحَ فربَّ لفظة مازح — جلبتْ إليك مساوئا لاتُدفعُ
وحفاظُ جارك لاتضعْه فإنَّهُ — لايَبْلُغ الشرفَ الجسيمَ مُضيِّعُ
وإذا استقالكَ ذو الإساءة عثرةً — فأقلْه إنَّ ثواب ذلك أوسعُ
وإذا ائْتُمنْتَ على السرائر فاخفها — واسترْ عيوب أخيك حين تطلَّعُ
لاتجزعَنَّ من الحوادث إنما — خرقُ الرجال على الحوادث يجزع
وأطعْ أباكَ بكُلِّ ماأوصى به — إنَّ المطيع أباهُ لا يتضعضعُ

(1) **أنأى** : أى أبعد.

وقال في السكوت:

أدَّبْتُ نفسى فما وجدتُ لها — بغير تقوى الإله من أدب
فى كل حالاتها وإنْ قَصُرَتْ — أفضلُ من صمتها على الكُرَبْ
وغيبةُ الناس إنَّ غيبتَهم — حرَّمَها ذو الجلال فى الكتب
إن كان من فضةٍ كلامُك يانفسُ — فإنَّ السُّكوتَ من ذهب

ويقول ـ كرم الله وجهه ـ لبنيه : يابنى إياكم ، ومعاداة الرجال فإنهم لايخلون من ضربين : عقل عاقل يمكر بكم أو جاهل يعجل عليكم ، والكلام أنثى والجواب ذكر فإذا اجتمع الزوجان فلابد من النتاج وقال :

سليمُ العرضِ مَنْ حَذَرَ الجوابا — ومَنْ داري الرِّجالَ فقد أصابا
ومَنْ هابَ الرِّجالَ تَهَيَّبوه — ومَنْ يُهن الرِّجالَ فلنْ يُهابا

ومما ينسب إليه:

وذى(1) سفه يُواجهُنى بجهل — وأكرهُ أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهةً وأزيدُ حلماً — كعود زاد بالإحراق طيبا

وقال :

إنَّ القليلَ منَ الكلام بأهله — حسنٌ وإنْ كثيرهُ ممقوتُ
مازَلَّ ذو صمت وما من مكثر — إلا يزلُّ وما يُعابُ صموتُ
إن كان ينطقُ ناطقا من فضة — فالصمتُ دُرٌّ زانه ياقوتُ

وينسب إليه :

فلا تُكثرنَّ القولَ فى وقته — وأدْمنْ على الصمت المزين للعقل
يموتُ الفتى من عثرة بلسان — وليس يموتُ المرء من عثرة الرِّجْل
فعثرتُهُ من فيه ترمى برأسه — وعثرتُه بالرِّجل تَبْرأ على مهل
ولاتكُ مبْثاثا(2) لقولك مُفشيا — فتستجلب البغضاءَ من زلة النعل

(1) **وذي** : تعنى هنا بمعنى صاحب.
(2) **مبثاثا** : أى مفشى السر

وقال :

أيُّهـــا الكاتب مـــا تكــــتب مكتـــوب عليك

فــاجْـعلْ المكتـــوبَ خـيـــراً فــــهـــو مـــردود إليك

يقول فى كتمان السر وعدم إفشائه:

لاتُودعِ السِّـــرَ إلا عند ذى كـــرَمٍ والســـرّ عند كـرام الناس مكتـــومُ

والسِّـــرُّ عندى فى بيت له غلقٌ قد ضاعَ مفتاحُهُ والبيتُ مختوم

وينسب إليه:

فـــلا تُفشِ ســـراً إلا إليك فـــإنَّ لكلّ نصـيح نصـيحـا

وإنى رأيتُ غُـــواةَ الرجـــال لايتــركـــون أديماً[1] صحيحا

كان الإمام وفاطمة ـ رضى الله عنهما ـ يأكلان ، فدخل مسكين يطلب طعاماً، فوضع على اللقمة من يده ، وقال :

فـــاطمُ ذاتُ المجـــد واليـــقينْ يابنت خـــير الناس أجـمـعين

أمـــا تريْنَ البـــائسَ المسكينْ قـــد قـــام بالبـــاب له حنين

يشكو إلينا جـــائعٌ حـــزينْ كلُّ امـــرئ بكســـبه رهين

فقالت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ :

أمْـرُك ســمـعــاً يابن عمٍ طاعـة مـــافىَّ من لُؤمٍ ولا وضـــاعـــة

أطعـــمُـــهُ ولا أبالى الســاعـــة أرجـو إذا أشـبـعتُ ذا مـجـاعـة

أن ألحَقَ الأخـيـــار والجـمـــاعة وأدخل الخلد ، ولى شـفـاعـة

قال (رضى الله عنه) فى يتيم جاء يطلب رزقا ،وقد وضع اللقمة من يده :

(١) أديماً : كناية عن الغيبة .

فـــاطمُ بنتُ الســـيد الكريم بنتُ نبى ليس بالـذمـيـم

قـد جـاءنا اللهُ بذا اليـتـيم[1] من يرحم اليوم ، فـهـو رحيم

مـــوعـــده فى جنة النعـــيم حـــرَّمـهـا الله على اللئـيم[2]

فقالت فاطمة ــ رضى الله عنها ــ :

إنـى أعـطيـــــه ولا أبـالى وأوثرُ الله علـى عـــيـــالى

أمْـسـوا جـيـاعـاً وهم أشبـالى

قال امير المؤمنين فى أسير جاء يطلب رزقا:

فـــاطمُ ، يابنتَ النبى أحـمـد بنتَ نبىٍّ ســيّـد مُـسَـوَّدُ

هذا أســيرٌ جـاء ليسَ يهـتـدى فَكُبِّلَ قـــيـــده المقـيَّـد

يشكو إلينا الجـوعَ والتـشـدُّد من يُطعم اليـومَ يجـده فى غـد

عندَ العلىِّ الواحـد الموحّـد مـايزرعُ الزارعُ يومـا يحـصـد

فقالت فاطمة ــ رضى الله عنها ــ مجيبة :

لم يبقَ مما كـان غـيـرُ صـاعِ قـد دُمِـيتُ كَـفِّى مع الذراعِ

ومـــا علَى رأسى من قناعِ إلا عـبـاء نَسْـجُـه يُضـاع

ابناى، والله ، من الجـيـاعِ يارَبِّ لاتتـركـهُـمـا ضـيـاع

أبوهمـا للخـيـر ذو اصطناع عَـبْلٌ[3] الذراعين شـديدُ البـاع

وينسب إليه :

إذا كُنْتَ فى الأمس اقـترفتَ إساءةً فـثنِّ بإحْـسـان وأنت حـمـيـدُ

ولاتُرْجِ فعْلَ الخيـر يوما إلى غد لعلَّ غـداً يأتى وأنت فـقـيـد[4]

ويومُكَ إنْ عـاتبْـتـه عـادَ نفْـعُـهُ إليك ومـاضى الأمس ليس يعـودُ

(١) ذا اليتيم : إشارة إلى النبى ـ ﷺ ـ.

(٢) اللئيم : الخبيث الكافر .

(٣) عبل : أى شديد قوى .

(٤) فقيد : إشارة إلى موت الشخص .

قال على ـ رضى الله عنه ـ :

توقَّ مـدى الأيام إدخالَ مطعَم ... على مطعمٍ من قبلِ هَضْمِ المطاعم

وكُلُّ طعامٍ يُعْجِزُ السِّنَّ مضغُهُ ... فلا تقربنه فهو شر لطاعم

ووفِّر عَلَى الجِسْمِ الدمَّاءَ ، فإنَّها ... لقوة جسم المرء خيرُ الدعائم

وإياكَ أن تنكحْ طواعنَ سنِّهنَّ ... فإنَّ لها سما كسُمِّ الأراقم (1)

وفى كل أسبوع عليك بقيئة ... تكن آمناً من شرِّ كُلِّ البلاغم

وينسب إلى أمير المؤمنين عن زهر الربيع للجزائرى:

قد قيلَ إنَّ الإله ذو ولد ... وقيل إن الرسول قد كهنا

مانجا اللهُ والرسولُ معاً ... من لسان الورى ، فكيف أنا؟

وينسب إليه :

أرى حُمُراً ترعَى وتأكُلُ ماتَهْوَى ... وأسْداً جياعاً تظمأ الدَّهر ماتُروى

وأشرافَ قوم ماينالون قُوتَهم ... وقوماً لئاماً تأكل المنَّ والسلوى

قضاءٌ لخلاق الخلائق سابق ... وليس على ردِّ القضا أحدٌ يقوى

ومَنْ عَرَفَ الدهرَ الخؤون وصرفَه ... تصبَّر للبلوى ولم يُظهر الشكوى

قال رضى الله عنه : « من لانت كلمته وجبت محبته » وأنشد:

كيف أصبحتَ ، كيف أمسيتَ مما ... ينبتُ الودَّ فى الفؤاد الكريم

ومن المنسوب إلى أمير المؤمنين ـ رضى الله عنه ـ :

اقبلْ معاذيرَ مَنْ يأتيكَ معتذراً ... إنْ برَّ عندكَ فيما قال أوْ فَجَرا

فقد أطاعك مَنْ أرضاك ظاهرُهُ ... وقد أجلَّكَ مَنْ يعصيك مُستَترا

---

(1) الأراقم : الثعابين

وينسب إليه :

ومن كَرُمَتْ طبائعهُ تحلىَّ ... بآداب مُفَصَّلَة حسان

ومَن قلتْ مطامعهُ تغطَّى ... من الدُّنيا بأثوابِ الأمانَ

وما يدرى الفتى ماذا يُلاقى ... إذا ماعاش من حَدَثِ الزمان

فإنْ غدرَتْ بك الأيامُ فاصبرْ ... وكُن بالله محمودَ المعانى

ولاتكُ ساكنا فى دار ذُل ... فإنَّ الذلَّ يُقْرَنُ بالهوان

وإن أولاكَ ذو كَرَم جميلاً ... فكن بالشكر منطلق اللسان

أورد فى نفحة الريحانة : عنه ـ رضى الله عنه ـ :

كلُّ عنَب ، الكرمُ يُعْطيه ... إلا عنبَ الذيْب

كل عَيب ، الكَرَمُ يُغَطيه ... إلا غيبَ الذَّنب

وينسب إليه:

الدهرُ أدبنى واليأسُ أغنانى ... والقوت أقنعنى والصبرُ ربانى

وأحكمتْنى من الأيام تجربة ... حتى نهيت الذى قد كان ينهانى

وينسب إليه رضى الله عنه :

إذا المرءُ لم يرضَ ما أمْكنَهْ ... ولم يأت من أمره أزينَهْ

وأعْجبَ بالعجْب فأقتادُه ... وتاهَ به التيهُ فاستحسنه

فَدَعْهُ فقد ساء تدبيرُهُ ... سيضحك يوما ويبكى سنة

وينسب إليه ـ كرم الله وجهه ـ :

أتَمُّ الناس أعرَفُهم بنقصه ... وأقمَعُهُمْ لشهوته وحرصهْ

فدان على السلامة من يُدانى ... ومَنْ لم ترضَ صُحْبَتَه فأقصه

ولاتستغل عافية بشىء ... ولاتسترخص أذىً لرخصه

وخلِّ الفحص ماستغنيت عنه ... فكم مُستجلبٍ عيباً لفَحْصِهْ

وقال :

أفادتنى القناعةُ كُلَّ عزٍّ ... وهلْ عزٌّ أعزّ من القناعةْ

فصيِّرها لنفسك رأسَ مالٍ ... وصيِّرْ بعدها التقوى بضاعةْ

تحُزْ ربحاً وتغنَى عن بخيلٍ ... وتنعم فى الجنان بصبر ساعةْ

روى الفنجكردى فى سلوى الشيعة له :

ودَعَ التَّجَبُّر والتَّكَبُّر ياأخى ... إن التكبُّر للعبيد وبيل[1]

واجعلْ فؤادك للتواضع منزلا ... إن التواضُعَ بالشريف جميلُ

وقال :

ياجار همدان من يُمتْ يرنى ... من مُؤمنٍ أو منافقٍ قُبلا

يعرفُنى طرفه وأعرفه ... بنعته واسمه وما فعلا

أقولُ للنار وهى توقد للعرْ ... ض ذريه لاتقربى الرجلا

ذريه(٢) لاتقربيه إن لهُ ... حبلاً بحبل الوصى مُتصلا

وأنت عند الصراط مُعترضى ... فلا تَخَفْ عثرةً ولا زللاَ

أسقيك من باردٍ على ظمأ[3] ... تخالُهُ فى الحلاوة العسلا

(١) **وبيل** : الوبيل الشديد.
(٢) **ذريه** : اتركيه.
(٣) **ظمأ** : عطش.

باب : الفخر بالنفس

وينسب إليه :

فدارى مناخٌ لمَنْ قدْ نزَلْ ... وزادى مُباحٌ لمن قد أكلْ

أقَدِّمُ ماعندَنا حاضراً ... وإنْ لم يكن غيرَ خُبز وخَلْ

فأمَّا الكريمُ فراضٍ به ... وأمَّا اللئيم فما قد أبَلْ

وقال :

أنا مُنذُ كنتُ صبياً ... ثابت العقلِ جريا[1]

أقتُلُ الأبطالَ قهْرا ... ثُمَّ لاأفزغ شيا

ياسباعَ البرِّ زيغى ... وكُلى ذا اللحْمَ نيَّا

وقال :

سأمنحُ مالى كُلَّ من جاءَ طالبا ... وأجعَلُهُ وقْفا على القَرضِ والفرض

فإما كريمٌ صُنْتُ بالمال عرْضَهُ ... وإمَّا لئيمٌ صُنْتُ عن لؤمه عرضى

برز على متنكرا يوم صفين ، فخرج عمرو بن العاص مرتجزا :

ياقادةَ الكوفة ياأهل الفتنْ ... ياقاتلى عثمان ذاك المؤتمن

كفى بهذا حُزنا مع الحَزَنْ ... أحزبكُم ولا أرى أبا الحسن

فتناكل عنه على ـ رضى الله عنه ـ حتى تبعه عمرو ثم ارتجز أمير المؤمنين:

أنا الغلام القرشىُّ المُؤتَمَنْ ... الماجدُ الأبلجُ[2] ليثٌ كالشَّطَنْ

يرضى به السادةُ من أهل اليمن ... من ساكنى نجد ومن أهل عَدَنْ

أبو الحسين فاعلَمَنْ أبَا الحسنْ ... قد جاك تقتادُ العنانِ والرَّسَنْ

(١) **جريا** : تخفيف لـ جريئاً.
(٢) **الأبلج** : الواضح.

وينسب إليه:

علمى غزيرٌ وأخلاقى مُهَذَّبة … ومن تهذَّبَ يروى عن مُهذَّبه

لو رمت ألف عدوٍّ كنتَ واجدَهُم … ولو طلبتَ صديقاً ماظَفِرتَ بَهِ

وقال رد على المصريين وهو على المنبر مااستخلف:

إنى عجزتُ عَجْزةً لاأعتذرْ … سوف أكيسُ بعدها وأستمر

أرفعُ من ذيلى ماكنتُ أجُرْ … وأجمعُ الأمرَ الشتيتَ المنتشرْ

إن لم يباغتنى العجولُ المنتصر … أو تتركونى والسلاح يُبْتَدَر

وقال :

صبرتُ على مُرِّ الأمور كراهةً … فهانَ علينا كلُّ صعبٍ من الأمرِ

وقال يذكر مبيته على فراش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

وقَيتُ بنفسى خيرَ مَنْ وطئَ الحَصى … ومن طافَ بالبيت العتيق وبالحجر

محمدُ لما خاف أن يمكروا به … فوقاهُ ربى ذو الجلال من المكْر

وبتُّ أراعيهم متى ينشروننى … وقد وطنتُ نفسى على القتل والأسر

وباتَ رسول الله فى الغار آمناً … هناك وفى حفظ الإله وفى ستر

أقام ثلاثا ثم زُمَّتُ قلائصُ … قلائصُ يَفْرين الحصى أينما يَفرى

أردتُ به نصر الإله تبتُّلا … وأضمرتُه[1] حتى أوسَّد فى قبرى

وينسب إليه:

أنا للحرابِ إليها … وبنفسى أتقيها

نعمةً من خالقٍ … من بها قد خصَّنيها

لن ترى فى حومةٍ[2] الهيجاء … لى فيها شبيها

(١) **أضمرته** : سترته .
(٢) **حومة** : أشد مواضع القتال .

ولىَ السَّبْقةُ فى الإسلام … ولعلَّه خَرقٌ سفيهٌ أرْقعُ

ولى القربة إن قام … جلبتْ إليك مساوئا لاتُدفَعُ

زقَّنى بالعلم زقَّا … لايَبْلُغ الشرفَ الجسيمَ مُضيِّعُ

ولى الفخرُ على الناس … فأقلَه إنَّ ثواب ذلك أوسعُ

ثم فخرى برسول الله … واسترْ عيوب أخيك حين تطلَّعُ

لىَ وقعاتٌ ببدر … خرقُ الرجال على الحوادث يجزع

بأحُدٍ وحُنين … إنَ المطيع أباهُ لا يتضعضعُ

وأنا الحاملُ للراية … بغير تقوى الإله من أدب

وإذا أضرمَ حربا … أفضلُ من صمتها على الكُرَبِ

وإذا نادى رسول الله … حرَّمها ذو الجلال فى الكتب

وينسب إليه :

إذا اجتمعت علينا مَعَدٌّ ومُذحَجٌ … بمعركةٍ فإنِّى أميرُها

مُسَلَّمَةٌ أكفالُ خيلى فى الوغَى … ومكْلُومَةٌ لبانُها ونحورها

حرامٌ على أرماحنا طَعْنُ مُدْبرٍ … وتندقُّ منها فى الصدور صدورُها

وكان أبو طالب يقيم النبى صلى الله عليه وسلم من فراشه ويضع ابنه عليا مكانه خوفا على الرسول فقال له على مرة : ياأبتاه إنى مقتول فقال أبو طالب :

اصْبرنْ ياابنى فالصبرُ أحجَى … كل حىٍّ مصيرُه لشَعُوب

قد بلوناك والبلاءُ شديد … لفداء النَّجيب وابْنَ النجيب

لفداء الأعزِّ ذى الحسب الثا … قب والباع والفناء الرحيب

إنْ تُصبْكَ المنونُ فالنُّبلُ تُبْرَى … فمُصيبٌ منها وغيرُ مصيب

كلُّ حىٍّ وإن تملأ عيشا … آخذٌ من سهامها بنصيب

فأجابه على :

أتأمُرنى بالصبر فى نصر أحمد ... فوالله ماقُلْتُ الذى قلتُ جازعاً

ولكنّى أحببتُ أنْ ترى نُصرتى ... لتَعْلَمَ أنّى لم أزَلْ لك طائعاً

وسعْيى لوجهِ الله فى نصر أحمدٍ ... فى الهدى المحمود طفلاً ويافعاً

وقال يخاطب الوليد بن المغيرة :

يُهددُنى بالعَظيم الوليدُ ... فقُلتُ أنا ابْنُ أبى طالبِ

أنا ابْنُ المبجَّل [١] بالأبطحين ... وبالبيت من سَلَفى غالبِ

فلا تحسبنّى أخافُ الوليدَ ... ولاأنّنى منه بالهائبِ

فيا ابنَ المغيرة إنّى امرؤٌ ... سَمُوحُ الأنامل بالقاضب [٢]

طويلُ اللسان على الشائنين [٣] ... قصيرُ اللسان على الصاحبِ

خسرتُم بتكذيبكم للرسول ... تعيبون ماليس بالعائبِ

وكذبتموه بوحى السماء ... ألا لعنة الله للكاذبِ

وينسب إليه:

أيحسبُ أولادُ الجهاله أننا ... علَي الخيل لسنا مثلهم في الفوارس

فسائلْ بني بدْرٍ إذا ماالتقيتُم ... بقتلي ذوي الأقران يومَ التمارُسِ

وهذا رسولُ الله كالبدر بيننا ... به كَشفَ اللهُ العدا بالتناكُسِ

وإنّا أناسٌ لانري الحربَ سُبَّةً ... ولاننثني عندَ الرماح المداعس [٤]

فينا بعدها من مقالة ... فما غادرَتْ منّا جديداً لَلابسِ

لما انضم عمرو بن العاص إلى معاوية غضب مروان وقال : مالى لاأشترى لما

---

(١) **المبجل** : الشيخ السيد الكبير.
(٢) **القاضب** : من السيوف القاطع.
(٣) **الشائنين** : الذين يمشون بالنميمة.
(٤) **المداعس** : الرماح القوية.

يشترى عمرو ؟ فقال معاوية : إنما يشترى الرجال لك . . . فلما بلغ عليًا ـ كرم الله وجهه ـ ماصنع معاوية ، قال :

ياعجباً لقد سمعتُ منكراً ... كذْباً على الله يُشيبُ الشَّعَرا

يسترقُ السمع ويغشى البصرا ... ماكان يُرضى أحمدَ لوْ خبُرا

أن يُقْرنوا وصيةً والأبْترا ... شانى الرسول واللعين الأخزَرَا

كلاهما فى جنده قد عسكرا ... قدْ باع هذا دينهُ فأفْجَرا

مَنْ ذا بدُنيا بيعَه قد خسرا ... بمُلك مصر أن أصابَ الظفَرا

إنى إذا الموتُ دَنا وحضرا ... شمَّرت [١] ثوبى ودعوتُ قنبرا

قَدِّمْ لوائى ، لاتُؤخِّرْ حذرا ... لن يدفعَ الحذارُ ماقد قُدرا

لما رأيتُ الموتَ موتاً أحمرا ... عبَّأتُ همدانَ ، وعَبُّوا حمْيَرا

حىٌّ يمان يعْظمُونَ الخطَرا ... قَرْنٌ إذا ناطحَ قرْناً كَسَرا

قل لابن حرْبٍ لاتدبَّ الخُمرا ... أرْودْ قليلاً ، أبدَ منك الضجرا

لاتحسبنِّى ياابن حرب غمَرا ... وسَلْ بنا بدرا ، معاً ، وخيبرا

كانت قُريْشٌ يومَ بدر جَزَرَا ... إذ وردوا الأمرَ فَذَمُّوا الصدرا

لو أنَّ عندى ياابن حرب [٢] جعفرا [٣] ... أو حمزة [٤] القَرْمَ الهُمَامَ الأزْهرا

رأت قُريْشٌ نَجْمَ ليل ظَهَرَ

كان ينشد أمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقول:

أنا أخو المصطفى لاشك فى نسبى ... معه رُبيتُ وسبْطاه هما ولدى

جدّى وجدُّ رسول الله مُتّحِدٌ ... وفاطمُ زوجى لاقولٌ لذى فند

---

(١) **شمرت ثوبى** : رفعته عن ساعديه.
(٢) **ابن حرب** : معاوية بن أبي سفيان.
(٣) **جعفر** : ابن أبى طالب.
(٤) **حمزة** : ابن عبد المطلب.

صدَّقْتُهُ وجميعُ الناس فى ظُلَم   من الضلالة والإشراف والنكَد
الحمدُ لله فرْداً لاشريك له   البر بالعبد والباقى بلا أمد

ـ فتبسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : صدقت

جال على فى الميدان فى موقعة صفين وقال:

أنا علىٌّ فاسألونى تُخْبَروا   ثمَّ ابْرزُوا إلى الوَغَى أو أدبِروا
سيفى حُسامٌ وسنانى يزهرُ   منَّا النبىُّ الطاهرُ المطهَّر
وحمزةُ الخيرُ وصفوى جعفرُ   له جناحٌ فى الجنان أخضرُ
ذا أسدُ الله وفيه مفخرُ   وفاطمُ عرسى وفيها مفخر
هذا لهذا وابنُ هند محجرُ   مُذَبْذَبٌ مطردٌ مؤخّرُ

وقال :

قدْ يعلمُ الناسُ خيْرُهُم نسباً   ونحنُ أفخرُهُم بيتاً إذا فخروا
رهطُ النبىِّ وهم فأوى كرامته   وناصروا الدين والمنصورُ من نصروا
والأرضُ تعلمُ أنَّا خير ساكنها   كما به تشهد البطحاء والمدرُ
والبيتُ ذو الستْر لو شاءوا تُحدثُهُم   نادَى بذلك رُكْنُ البيتِ والحجرُ

وينسب إليه:

سيفُ رسول الله فى يمينى   وفي يساري قاطعُ الوَتين
فكلُّ من بارزنى يُجبنى   أضربُهُ بالسيف عن قريني
محمدُ وعن سبيلِ الدينِ   هذا قليلٌ من طلاب العيْنِ

وينسب إليه :

ياأكرم الخلق على الله   والمصطفى بالشرف الباهى
محمدُ المختار مهما أتى   من مُحْدَث مُستفظعٍ ناهى

فاندب له حيدرَ لاغيره   فليس بالغمْر ولا اللاهى
ترى عمادَ الكفر من سيفه   مُنكَّسا باطلُهُ واهى
هل العدَى الأذنابُ عوتْ   مع كل ناسٍ نفسه ساهى
سيهُزَمُ الجميعُ على عقبه   بحيدرَ والنصرُ بالله

وينسب إليه :

إن عبداً أطاعَ رباً جليلا   وقفا الداعى النبى الرسولا
فصلاةُ الإله تَتَرَى عليه   فى دُجَى الليل بكرة وأصيلا
إنَّ ضربَ العداة بأبيض يُرضَى   سيداً قادراً ويشفى غليلا
ليس من كان صالحا مُستقيما   مثل من كان هاديا وذليلا
حسبى اللهُ عصمةٌ لأمورى   وحبيبى مُحمدٌ لى خليلا

وينسب إليه أنه قال :

أنا الصَّقرُ الذى حُدِّثْتَ عنه   عَنَاقُ الطيرِ تنْجَدلُ انجدالا
قاسيتُ الحروب أنا ابنُ سبع   فلما شبْتُ أفنَيتُ الرجالا
فلم تدَعِ السُّيوفُ لنا عدواً   ولم يدعِ السخاءُ لدَىَّ مالا

وروى أن عليا بعد رجوعه من وقعة أحد ناول فاطمة ـ رضى الله عنها ـ سيفه وقال : اغسلى عنه الدم فوالله لقد صدقنى اليوم ثم قال :

أفاطمُ هاكَ السيفُ غيرُ ذميم   فلستُ برعديد [1] ولا بلئيم
أفاطمُ قد أبليتُ فى نصر أحمدَ   ومَرْضاة ربٍّ بالعباد رَحيمِ
أريدُ ثوابَ الله لاشىء غيره   ورضوانَهُ فى جنَّةٍ ونعيمِ

(١) الرعديد : الجبان.

وكنتُ امرءاً أسمو إذا الحربُ شُمرَتْ ... وقامت على ساقٍ بغيرِ مُليم
أَنَمْتُ ابْنَ عبد الدار حتى ضربتهُ ... بذى رونق يَفْرى العظام صميم
فغادرتُهُ بالقاع فارفضَّ جمعُهُ ... وأشْفَيْتُ منهم صدرَ كل حليم
وسيفى بكفِّى كالشهاب[1] أهُزُّه ... أجُزُّ به من عاتقٍ وصميمِ

وروى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما سار إلى غزوة تبوك واستعمل على المدينة علياً فتبعه علي وقال : يارسول الله زعمت قريش أنك إنما خلفتنى استثقالا لى فقال صلى الله عليه وسلم : طالما آذت الأمم أنبياءها ياعلى أما ترضى بأنك وزيرى وخليفتى وقاضى دينى ومنجز وعدى لحمك لحمى ودمك دمى أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى فقال : رضيت ثم أنشأ يقول :

ألا باعَدَ الله أهلَ النفاق ... وأهلَ الأراجيف[2] والباطلِ
نحنُ الخيارُ من البرية كلها ... ونظامُها ونظام كل زمامِ
الخائضون غمارَ كلِّ كريهة ... والضامنون حوادث الأيام
والمبرمون قُوَى الأمُور بعزة ... والناقضون مرائر الأبرام
فى كل معترك تطيرُ سيوفنا ... فيه الجماجم عن فراخ الهام
إنا لنمنعُ مَنْ أرونا منعهُ ... ونجودُ بالمعروف للمُغتام
وتردُّ عادية الخميس[3] سيوفنا ... ونقيمُ رأسَ الأصيد القمقامِ

وينسب إليه :

نصرنى ربى خيرَ ناصر ... آمنتُ بالله بقلب شاكر
أضربُ بالسيفِ على المغافر ... مع النبى المصطفى المهاجر

(١) **الشهاب** : الشديد الإضاءة.
(٢) **الأراجيف** : الكذابون المثيرون للفتن.
(٣) **الخميس** : الجيش الجرار.

وينسب إليه انه لما بويعَ من قبله بالخلافة يعنى عثمان ـ رضى الله عنه ـ :

أغمضُ عينى فى أمور كثيرة ... وإنى على ترك الغموض قديرُ
ومامن عمى أغضَى ولكنْ لربما ... تَعامَى وأغضى المرءُ وهو بصيرُ
وأسكُتُ عن أشياءَ لو شئتُ قلتها ... وليس علينا فى المقال أميرُ
أصبِّرُ نفسى باجتهادى وطاقتى ... وإنى بأخلاق الجميع خبيرُ

وقال فى قتله عمرو بن عبدود :

ياعمرو قد لاقيتَ فارسَ همَّة ... عند اللقاء مُعاوِدَ الأقدام
من آل هاشم من سناء باهرٍ ... ومُهذبين مُتوجين كرامِ
يدعو إلى دين الإله ونصره ... وإلى الهدى وشرائع الإسلامِ
بُمهنَّد[1] عضْب رقيق حدهُ ... ذى رونق يفرى الفَقَارَ حُسامِ
ومحمد فينا كأنَّ جبينه ... شمسٌ تجلت من خلال غَمَامِ
واللهُ ناصرُ دينه ونبيه ... ومعينُ كل موحّد مقدام
شهدت قريشٌ والبراجم كلها ... أن ليس فيها من يقوم مقامى

وينسب إليه أنه قال لما قتل عمر بن عبدود:

ضربْتُهُ بالسيف فوق الهامَةْ ... بضربة صارمة هدَّامةْ
فبكت من جسمه عظامُهُ ... وبيَّنَتْ مِنْ أنفه أرغامَهْ
أنا عليٌّ صاحبُ الصمامَةْ ... وصاحبُ الحوض لَدَي القيامَةْ
أخو رسول الله ذي العلامَةْ ... قد قال إذا عمَّمَني عَمَامَةْ
أنت أخي ومعْدنُ الكرامَةْ ... ومَنْ له من بعده الإمامَةْ

(١) **مهند** : السيف.

قال :

اَلْبِسْ أخـاك على عـيـوبه   واسـتـُرْهُ وغطّ على ذنوبِهْ
واصـبـر على ظلم السـفـيـه   ولـلـزمـان عـلى خطوبِهْ
ودعْ الجـوابَ تـفـضُّـلاً   وكلِ الظلوم إلى حسـيـبِـهْ
واعـلـم بـأنّ الحـلـمَ عـنـدَ   الغَـيـظ أحـسـنُ منْ ركـوبه

قال :

نـحـنُ نـؤمُّ الـنـمـط الأوسـطـا   لسنا كـمن قـصّـرَ أو أفـرطا

انقطع رشاء دلو البراء بن عازب فى ماء بئر « ذات العلم » فنزل الإمام علىٌّ القليب وهم يسمعون جلبة وقهقهة ، غطيطا كغطيط المجنون ، ثم نادى : الله أكبر الله أكبر ، أنا عبد الله ، وأخو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هلموا قربكم ، أقعمها ، (أى ملأها) . . فسمعنا صوتا :

أىُّ فـتى ليلِ أخى روعـات   وأىُّ سـبّـاق إلى الغـايات
لـله درُّ الغُـرر الـسـادات   من هاشم الهـامـاتِ والقـامـات
مثلُ رسـول الله ذى الآيـاتِ   أو كـعلىٍّ كـاشف الكربات

كـذا يكون المرء فى الحـاجـات

وينسب إليه:

تغرّبْ(1) عن الأوطان فى طلب العُلى   وسافرْ ففى الأسفار خمسُ فوائد
تفـرّجُ همٍّ، واكـتسـاب معـيـشـة   وعلم وآداب ، وصُحبة مـاجـد
فـإنْ قـيل فى الأسـفـار ذُلٌّ ومـحنةٌ   قطعُ الفـيـافى وارتكابُ الشـدائد
فـموتُ الفـتى خيرٌ له من قـيامـه   بدارِ هوان بين واشٍ وحـاسـد

(1) **تغرب** : من الابتعاد

أصاب سفهاء قريش عثمان بن مظعون - رضى الله عنه - فى عينه بلطمة لما خرج من جوار الوليد بن المغيرة إلى جوار الله والاحتماء به ، فقال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - :

أمن تذكُّر دهرٍ غـيـر مـأمـون   أصبحتَ مُكْتئبا تبكى كمحزون
أمِّن تَذكُّرِ أقـوام ذوى سَـفَـه   يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
لاينتهـون عن الفحشاء ماسلمواً   والغدر فيهم سبيلٌ غيرُ مأمون
ألا ترون أقلَّ اللهُ خـيـرَكَم   إنَّا غضبنا لعُثمان بن مظعونَ
إذ يلطمـون ولايخشـون مـقلَتـه   طعنا دراكا ، وضربا غير مأفونَ
فسوف يجزيهم إن لم يُمت عجلاً   كيلا بكيل ، جزاءُ غير مغبونَ

أقبل عثمان إلى على - رضى الله عنهما - ، فقال : مالك لاتقول ؟ فقال رضى الله عنه : ليس جوابك إلا ماتكره ، وليس لك عندى إلا ماتحب ، ثم خرج قائلا :

ولو أنّنى جـاوبْتُـهُ لأمـضّـهُ   نطاح أسـد مـا أراها تصطلح
ولكنّنى أغْضى على مضض الحشا   ولو شئت إقداما لأنشب أنيابى

وقال :

الـليل داج والكـبـاش تنطح   نطاح أسـد مـا أراها تصطلح
أسـد عـرين فى اللقاء قد مرح   منهـا نيـام وفـريق منبطح

فـمن نجـا برأسـه فـقـد ربح

ومن كلامه - رضى الله عنه - ، ماأورده صاحب الفصول المهمة :

فـارقْ تجدْ عـوضـا عـمَّن تفارقه   وانْصبَ فإن لذيذ العيش فى النصب
فالأسْدُ لولا فراقُ الغاب ماافْتنصتْ   والسهمُ لولا فراق القوس لم تُصب

قال رضى الله عنه لقنبر ، مولاه ، وكان يسلب قتلى أمير المؤمنين : « ياقنبر ، لاتغرْ فرايسى » ، أراد : لاتسلب قتلاى من البغاة ، وأنشد :

إنَّ الأسود ، أسُودَ الغاب همَّتها   يومَ الكريهة في المسلوب لا السَّلب

نشا امير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ :

الحمدُ لله ربى ، الخالقُ الصمدُ   فليس يُشركه فى حكمه أحدُ

هو الذى عرَّفَ الكفار منزلَهُمْ   والمؤمنون سيجزيهم بما وعدوا

وينصرُ اللهُ مَنْ والاهُ ، إنَّ له   نصراً ، ويَمْثُلُ بالكفار إذ عَندوا

قومى وقوا لرسول الله واحتسبوا   شُمَّ العرانين منهم حمزةُ الأسدُ

وقال :

سبقتُكُمُ إلى الإسلام طُراً   غلاماً ، مابَلَغْتُ أوان حلمى

أنا البطلُ الذى لن تُنْكروه   ليوم كريهة ، وليوم سلم

وأوجبَ لى ولايته عليكم   رسولُ الله يومَ غدير خمٍّ

وأوصانى النبىُّ على اختيار   ببيعته غداةَ غد برَحْم

وأوصى بى لأمته لحُكْمى   فهل فيكم له قدم كقَدَمى؟

فويلٌ ، ثمَّ ويلٌ ، ثم ويلٌ   لجاحد طاعتى من غير جُرْم

كتب معاوية إلى على : ياأبا الحسن ، إن لى فضائل كثيرة ، وكان أبى سيداً فى الجاهلية وصرت ملكا فى الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخال المؤمنين ، وكاتب الوحى

فقال على ـ رضى الله عنه ـ : أبا الفضائل يفخر علىَّ ابنُ آكلة الأكباد ؟ ثم قال : اكتب ياغلام :

محمد النبىُّ أخى وصهرى   وحمزةُ سيِّدُ الشُّهداء عمِّى

وجعفرُ الذى يضْحى ويُمسى   يطيرُ مع الملائكة ، ابنُ أمِّى

وبنتُ محمد سكَنى وعُرسى   مَشُوبٌ لحْمُها بدَمى ولَحْمى

وسبطا أحمد ولداى منها   فَمنْ منكم له سهمُ كسهمى؟

وقال على بعد قتل زيد و طلحة يوم أحد :

أصول بالله العزيز الأمجد   وفالق الإصباحِ ربُّ المسجدِ

أنا علىٌّ وابن عم المهتدى

وينسب إليه :

الحمد لله لاشريك له   دأبى فى صبحى وفى غلسه

الحمدُ لله الجميل المفضّل   المسبِغُ المولى العطاءَ المُجزل

شُكراً على تمكينه لرسوله   بالنصر منه على البُغاة الجُهلِ

كم نعمة لا أستطيعُ بلوغها   جهداً ولو أعلمت طاقة مقُولَ

لله أصبحَ فضله مُتظاهراً   منه علىَّ سألت أم لم أسألَ

قد عاين الأحزاب من تأييده   جُندُ النبى ذى البيان المرسَلِ

مافيه موعظةٌ لكلَ مُفكِّرٍ   إن كان ذا عقلٍ وإن لم يعقلِ

وينسب إليه ـ كرم الله وجهه ـ بذكر قبيلة الأزد:

الأزدُ سيفى على الأعداء كلهم   وسيفُ أحمدَ مَنْ داهى له العربُ

قومٌ إذا فاجأوا أبلوا وإن غُلبُوا   لايحجمونَ ولايدرون ماالهربُ

قومٌ لبوسهم فى كل مُعتَرك   بيض رقاقٌ وداوديةٌ سلبُ

البيض فوق رؤوس تحتها اليلبُ   وفى الأنامل سُمْرُ الخط والقطبُ

البيضُ تضحكُ والآجال تنتحب[1]   والسمرُ ترعفُ والأرواح تُنْتَهَبُ

وأىّ يوم من الأيام ليس لهم   فيه من الفعل مامن دونه العَجَبُ

الأزد أزيد من يمشى على قدم   فضلا وأعلاهم قدراً إذا ركبوا

يامعشر الأزد أنتم معشر أنفٌ   لايضعفون إذا مااشتدت الحقبُ

(١) تنتحب : تبكى بكاء شديداً

وفيتم ووفاءُ العهد شيمتكم[١] ... ولم يخالط قديما صدقكم كذبُ
إذا غضبتُم يهاب الخلقُ سطوتكم ... وقد يهونُ عليكم منهم الغضبُ
يامعشر الأزد إنّي من جميعكم ... راضٍ أنتم رؤوس الأمرَ لا الذنبُ
لن ييأس الأزد من رَوْحٍ ومغفرةٍ ... واللهُ يكلؤهم من حيث ماذهبوا
طبتم حديثا كما قد طاب أولكم ... والشوك لايجتنى من فرعه العنب
والأزد جرثومة إن سوبقوا سبَقوا ... أو فُوخروا فخروا أو غُولبوا غَلَبُوا
أو كُوثرُوا أو صوبروا صبروا ... أو سوهموا سهموا أوسُولبوا سلبوا
صَفَوا فأصفاهم البارى ولايته ... فلم يشب صفوهم لهو ولا لعبُ
من حُسن أخلاقهم طابت مجالسهم ... لا الجهل يعروهم فيها ولا الصخبُ
الغيث ماروّضوا من دون نائلهم ... والأسدُ ترهبهم يوما إذا غضبوا
أندَى الأنام أكُفًّا حين تسألهم ... وأربط الناس جأشاً[٢] إن هم ندبوا
وأيّ جمع كثير لاتفرّقه ... إذا تدانَتْ لهم غسانُ والنَدَبُ
فالله يجزيهم عما أتوا وحَبوا ... به الرسول وما من صالحٍ كسبوا

(١) **شيمتكم** : خلقكم وسماتكم.
(٢) **جأشاً** : شجاعة.

باب: «المناجاة والدعاء» (مناجاة الإله)

عظمة الذات

مما ينسب إليه :

كَيْفيَّةُ المرْء ليس المرءُ يدركها ... فكيف كيفية الجبار فى القدَم
هو الذى أنشأ الأشياءَ مبتدعاً ... فكيف يدركه مستحدثُ النَسَم

وينسب إليه :

العجزُ عن دَرك الإدراك إدرَاك ... والبحثُ عن سرٍّ ذات السر إشراكُ
فى سر سائرِ همَّات الورى همَمٌ ... عن درْكِها عجزتْ جنٌ وأملاكُ

إرادة الله

إذا أذنَ اللهُ فى حاجة ... أتاكَ النجاحُ بها يركض
وإن أذن الله فى غيرها ... أتى دونها عارض يعرضُ

الثناء على الله

لك الحمدُ إمَّا على نعْمَة ... وإمَّا علي نقمة تُدفَعُ
تشاء فتفْعَلُ ماشئْتَهُ ... وتسمعُ من حيث لايسمعُ

روى أن عليا ـ رضى الله عنه ـ لما هاجر إلى المدينة ومعه الفواطم جعل أبو واقد الليثى يسوق بالرواحل سوقا عنيفا فقال له : ارفق بالنسوة فإنهن من الضعايف قال : أخاف أن يدركنا الطلب فقال : ارجع عليك وجعل يسوق بهن سوقا رفيقا وهو يقول :

لاشيء إلا الله فارفع ظنكا   يكفيك ربُّ الناس ما أهمَّكا

***

إليكَ ربى لا إلى سواكا   أقبلْتُ عمداً أبتغى رضاكا
أسألك اليوم بما دعاكا   أيوبُ إذ حلّ به بلاكا
إن يكُ منى قد دنا قضاكا   ربٌّ فبارك لى فى لقاكا

وينسب إليه أنه عثر على قوم خرجوا من محبته باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربهم وجحدوا ماجاء به نبيهم واتخذوه ربا وإلها وقالوا : أنت خالقنا وارازقنا فاستتابهم وتوعدهم فأقاموا على قولهم فحفر لهم حفراً دخن عليهم فيها طمعا فى رجوعهم فأبو (فحرقهم بالنار) وقال :

لما رأيتُ الأمرَ أمراً منكراً   أجججتُ[1] نارى ودعوتُ قُنْبُرا
ثم احتفرْتُ وحُفراً   وقنبر يحطِّم حَطْما مُنْكَراً

ابتهال

إلهى أنتَ ذو فضل ومنٍّ   وإنى ذو خطايا[2] فاعف عنّى
وظنى فيك ياربى جميل ثبِّت لى قَدَمى   فحقِّقْ ياإلهى حُسْن ظنى
يارب ثبِّت لى قَدَمى وقلبى   سبحانك اللهم أنت حسبى[3]

وقال حينما كان النبى – ﷺ – وأصحابه يعملون فى بناء مسجدبالمدينة:

لايستوى مَنْ يعمُر المساجدا   ومَنْ يبيتُ راكعا وساجداً
يدأبُ فيها قائما وقاعدا   ومن يكن هكذا معانداً

(١) **أججت** : أشعلت .
(٢) **خطايا** : ذنوب .
(٣) **حسبى** : الحسْبُ الكافى .

وقائما طورا وطورا قاعدا   ومن يُرى عن الغبار حائدا

حسن الظن

ألا صاحب الذنب لاتقْنطنْ   فإن الله رؤوفٌ رَؤوفْ
ولاترْحَلَنَّ بلا عُدَّة   فإنّ الطريقَ مخوفٌ مخوفْ

ومن كلامه المنظوم كما ذكره الطبرى فى شرح الدرية:

اغْنَ عن المخلوق بالخالق   واغن عن الكاذب بالصادق
واسترزق الرحمن من فضله   فليس غير الله من رازق
ومن ظنَّ أنَّ الرزقَ فى كفه   فليس بالرحمن بالواثق
أو ظنَّ أنّ الناس يُغنُونه   زلّتْ به النعلان من حالق

وينسب إليه:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أشتكى   أرى الأرض تبقى والأخلاء[1] تَذْهَبُ
أخلاّىَ لو غير الحمام[2] أصابكم   عَتِبْتُ ، ولكن ماعلى الموت مَعْتَبُ

وعن منهاج العابدين لأبى حامد الغزالى ، قال على – كرم الله وجهه – :

أتَطْلُبُ رزقَ الله منْ عند غيره   وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضى بصرَّاف وإن كان مشركا   ضمينا ، ولاترضَى بربك ضامنا
كأنك لم تقرأ بما فى كتابه   فأصبحتَ منحولَ اليقين مُباينا

(١) **الأخلاء** : الأحباب والأصدقاء
(٢) **الحمام** : الموت والهلاك

مناجاة

لك الحمدُ ياذا الجود والعلا   تباركتَ تُعْطى من تشاءُ وتمنعُ
إلهى وخلاّقى وحرْزى ومَوْئلى   إليك لدَى الأعْسَار (١) واليسر أفزَعُ
إلهى لئن جلّت وجَمّت خطيئتى   فعفوك عن مذنبى أجلُّ وأوسَعُ
إلهى لئن أعطيتَ نفسى سؤلها   فها أنا فى أرض الندامة أرتَعُ
إلهى ترى حالى وفقرى وفاقتى   وأنتَ مناجاتى الخفية تسمَعُ
إلهى فلا تقطع رجائى ولاتُزغْ   فؤادى فلى سيب جودك مطمَعُ
إلهى لئن خيبتنى أو طردْتَنى   فَمن ذا أرجو ومَنْ لى يشفعُ
إلهى أجرْنى من عذابك إنّنى   أسيرٌ ذليلٌ خائفٌ لك أخشع
إلهى فآنسْنى بتلقين حجتى   إذا كان لى فى القبر مثوى (٢) ومضْجعُ
إلهى لئنْ عذبتنى ألفَ حجة(٣)   فحبْلُ رجائى منك لايتقطع
إلهى أذقْنى طَعْمَ عفوكَ يومَ لا   بنونَ ولا مالٌ هنالك يَنْفَعُ
إلهى إذا لم تَرْعَنى كنتُ ضائعاً   وإن كُنت ترْعانى فلستُ أضيَّعُ
إلهى إذا لم تَعْفُ عن غير مُحسن   فَمَنْ لمُسىء بالهوى يَتَمتَّعُ
إلهى لئن فرطتُ فى طلبَ التُّقىَ   فها أنا إثْرَ العفو أقفو وأتبعُ
إلهى لئن أخطأتُ جهلا فطالما   رجوتُك حتى قيلَ ماهو يجزعُ
إلهى ذنوبى جازَت الطودَ واعتَلَتْ   وصفْحُكَ(٤) عن ذنبى أجلُّ وأرفعُ
إلهى ينجى ذكر طَولكَ لوعتى   وذكْرُ الخطايا العينُ منى تَدْمَعُ

---

(١) **الأعسار** : وقت الشدة .
(٢) مثوى : مقام .
(٣) حجة : عام .
(٤) صفحك : عفوك وغفرانك .

إلهى أنلْنى منك رَوْحاً ورحمةً   فلستُ سوى أبواب فضلكَ أقْرَعُ
إلهى لئن أقصيتنى (١) أو طردتنى   فما حيلتى ياربٍّ أم كيفَ أصنعُ
إلهى حليفُ الحبِّ بالليل ساهرٌ   ينادى ويدعو والمغفّلُ يَهْجَعُ
وكلهم يرجو نوالَكَ راجياً   لرحمتك العظمى وفى الخُلْد يطمعُ
إلهى يُمنّينى رجائى سلامةً   وقُبْحُ خطيئاتى علىّ يُشَيعُ
إلهى فإنْ تعفو فعفوك مُنْقذى   وإلا فبالذنب المُدَمّر أصرَعُ
إلهى بحقّ الهاشمىّ وآله   وحُرْمَة إبراهيمَ خلّكَ أضْرَعُ
إلهى فأنشرنى على دين أحْمَدَ   نقيا تقيا قانتاً لك أخْشَعُ
ولاتحرمنى ياإلهى وسيّدى   شفاعَتَه الكبرى فذاك المشفعُ
وصلِّ عليه مادعاكَ مُوَحّدٌ   وناجاك أخيارٌ ببابك رُكّعُ

نسب إلى الإمام انه قال :

رأيتُ ربى بعين قلبى   فقلتُ لاشك أنتَ أنتا
أنتَ الذى حُزْتَ كلَّ أين   بحيثُ لا أين ثَم أنْتا
فليس للأين منك أينٌ   فيعلمُ الأينُ أين أنت
وليس للوهم فيك وهمٌ   فيعلمُ الوهمُ كيفَ أنتا
أحطتَ علما بكل شىء   فكل شىء أراه أنتا
وفى فنائى فنا فنائى   وفى فنائى وجدتُ أنتا

وقال :

أقول لعينى احبسى اللحظات   ولاتنظرى ياعين بالسرقات
فكم نظرة قادت إلى القلب شهوة   فأصبح منها القلب فى حسرات

---

(١) **أقصيتنى** : أبعدتنى .

الإسلام الغريب

ليبكِ على الإسلام من كان باكيا ... فقد تُركت أركانُه ومعالُمه

لقد ذهبَ الإسلامُ إلا بقيّة ... قليلٌ منَ الناس الذى هو لازمه

الطمع فى رحمة الله

ذنوبى إن فكرّتُ بها كثيرةٌ ... ورحمةُ ربى من ذنوبى أوسَعُ

فما طمعى فى صالح قد عملتُهُ ... ولكنَّنى فى رحمة الله أطمَعُ

فإنْ يكُ غفرانٌ فذاك برحمة ... وإن لم يكن أجرى بما كنتُ أصنَعُ

مليكى ومولاى وربى وحافظى ... وإنى له عبدٌ أقرُّ وأخضَعُ

فضل التقوى

لَعَمْرُكَ ما الإنسانُ إلا بدينه ... فلا تترك التقوى اتكالا على النَّسَب

فقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارس ... وقد وضعَ الشركُ الشريفَ أبا لَهَبْ

ولما سامه الخوارج على أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسير إلى الشام قال : أبعد صحبة رسول الله ـ ﷺ ـ والنفقة فى الدين أرجع كافراً وقال :

ياشاهد الله علىَّ فاشهَدْ ... أنّى على دين النبى أحْمَدْ

مَنْ شكَ فى الدين فإنى مُهْتَدْ ... يارب فاجعل فى الجنان مَوْرِدْ

قَيام الليل

ومن الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين :

اغْتَنِمْ ركعتين زُلْفَى[1] إلى الله ... إذا كنت فارغا مُستريحاً

وإذا ماهممْت بالقول فى الباطن ... فاجعل مكانَهُ تسبيحاً

* * *

أعاذلتى على إتعاب نفسى ... ورَعى فى السُّرى روضَ السُّهاد

إذا شامَ الفتى برقَ المعالى ... فأهونُ فائتٍ طيبُ الرُّقاد

(١) زلفى : تقرب.

الموعظة

نوم امرىء خيرٌ له من يقظة ... لم يُرْضِ فيها الكاتبين الحفظة

وفى صروف[1] الدهر للمرء عظة

روى أنه أتاه رجل فقال : ياعلى أخبرنى ماواجب وأوجب وعجيب وأعجب وصعب وأصعب وقريب وأقرب فقال :

فرضٌ على الناس أن يتوبوا ... لكنَّ تركَ الذنوب أوْجَبْ

والدهرُ فى صَرْفه عجيبٌ ... وغفلةُ الناس فيه أعْجَبْ

والصبر فى النائبات صعبٌ ... لكن فوتَ الثواب أصْعَبْ

وكل مايرتجى قريب ... والموتُ من كل ذاك أقْرَبْ

وينسب إليه :

ياطالبَ الصفو فى الدنيا بلا كدر[2] ... طلبتَ معدومةً فايأسْ من الظَفَر

واعلم بأنك ماعمَّرتَ مُمْتَحَنٌ ... بالخير والشر والميسور والعُسر

أنَّى تنال به نفعاً بلا ضَرر ... وأنها خُلقَتْ للنفع والضَّرر

فى الجبن عارٌ وفى الإقدام[3] مكْرُمةٌ ... ومن يفرَّ فلن ينجو من القَدرَ

(١) صروف : نوائب.
(١) كدر : غم.
(٢) الإقدام : الشجاعة.

باب : الحث على العمل وطلب الرزق والنصح

وينسب إليه - كرم الله وجهه - أنه قال فى الحث على العمل وطلب الرزق :

ومـا طلبُ المعـيـشـة بالتـمنى ... ولـكـن ألـق دلـوك فـى الـدلاء

تجـئـكَ بملئـهـا يومـا ويومـا ... تجئْكَ بحَمْأة(1) وقـليل مـاء

ولاتقـعـدْ على كلّ التـمنى ... تُحيل على المقـدّر والقـضـاء

فـإنّ مـقـادرَ الرحـمن تجـرى ... بأرزاق الرجـال من السـمـاء

مـقـدَّرة بقـبضٍ أو ببـسـط ... وعـجْـزُ المرء أسـبابُ البـلاء

لَنعْمَ اليـوم ، يوم السـبت حـقـاً ... لصـيـد إن أردتَ بلا امـتـراء

وفى الأحـد البناءُ ، لأن فـيـه ... تبـدّى الله فى خلق السـمـاء

وفى الاثنين ، إن سـافـرت فـيـه ... سـتظفـر بالنجـاح وبالثـراء

ومَنْ يرد الحـجـامـة ، فـالثـلاثا ... فـفى سـاعـتـه سـفكُ الدمـاء

وإن شَـربَ امـرؤٌ يومـا دواءً ... فَنعْمَ اليـومُ ، يومُ الأربعـاء

وفى يوم الخَـمـيس قـضـاءُ حـاجٍ ... فـفـيـه الله يأذنُ بالدعـاء

وفى الجُـمُـعـات تزويجٌ وعُـرس ... ولذّات الرجـال مع النسـاء

وهـذا العـلـمُ لايعـلـمـه إلا ... نبىٌ أو وصىُّ الأنبـيـاء

عن أبى طالب المكى : كان على - رضى الله عنه - يحمل التمر والملح بيده ويقول :

لاينقص الكامل من كـمـاله ... مـاجـرَّ من نفعٍ إلى عـيـاله

الصداقة والوفاء

ومما ينسب إليه - رضى الله عنه - :

إذا مـا المرء لـم يحـفـظ ثـلاثاً ... فـبـعْـهُ ولو بكف من رمـاد(2)

وفـاءً لـلصـديق وبذلَ مـال ... وكـتـمـان السـرائرِ فى الفـؤاد(3)

(1) **حمأة** : طين ومنها الحمأ المسنون.
(2) **رماد** : ماتخلف من احتراق المواد.
(3) **الفؤاد** : القلب.

وقال :

وليس كـثـيـراً ألفُ خلٍّ وصـاحب ... وإنَّ عـدواً واحـداً لكـثـيـرُ

وينسب إليه :

أمـا والله إن الظلم شُـؤْمٌ ... ولازال المسـيـىء هـو الظلومُ

إلى الديـان يـومَ الديـن نمـضى ... وعند الله تجـتـمعُ الخـصـومُ

ستـعلم فى الحساب إذا التقـينا ... غـدا عند المليك من الغشـوم(1)

سـتـنقطعُ اللذاذةُ عن أناس ... من الدنيـا وتنقطعُ الهـمـومُ

لأمْـرٍ مـاتصـرفَت الليـالى ... لأمـرٍ مـا تحـركت النجـوم

وينسب إليه :

تغـرَّبْتُ أسـأل مَنْ عنَّ لى ... من الناس هل من صـديق صـدوق

فـقـالوا عـزيزان لا يوجـدان ... صـديقٌ صـدوقٌ وبيضُ الأنوقَ

وقال :

ذهب الرجـالُ المقـتـدى بفعـالهم ... والمنكرون لكلِّ أمـرٍ منكر

وبقـيتُ فى خَلفٍ يُزيِّنُ بعـضـهم ... بعضاً ليدفعَ مُعْورٌ(2) عن مُعْـور

سَلَكُوا بُنيّات الطريق فأصبحـوا ... مُـتنكّبين عن الطريقِ الأكـبر

وقال فيما يلزم فعله مع الإخوان:

أخٌ طاهرُ الأخـلاق عـذْبٌ كـأنّه ... جَنَا النحل ممزوجـا بماء غـمـام

يزيدُ على الأيامِ فـضْلَ مـودّة ... وشـدَّة إخـلاصٍ ورعْى ذمـام

وقال :

همـوم رجـال فى أمـور لكثـيـرة ... وهمِّى من الدنيا صـديق مسـاعـد

يكون كروح بين جسـمين قسمت ... فجسمها جسـمان والروح واحـد

(1) **الغشوم** : الشديد الظلم.
(2) **معور** : ناقص.

وينسب إليه:

أبْنَى إنَّ من الرجـال بهيـمـةً … فى صورة الرجلِ السميع المُبْصرِ
فَطِنٌ بكلِّ رزِيَّة[1] فى مـالـه … وإذا أُصيبَ بدينه لم يشـعُـرِ

فى الوفاء بين الناس :

ذهب الوفـاءُ ذهاب أمس الذاهب … فالناسُ بين مُخاتل [2] وموارب[3]
يفـشـون بينهم المودة والصـفـا … وقلوبَهم مـحشـوةٌ بعـقـارب

وينسب إليه :

الناس فى زمان الإقبال كالشجرة … وحولَها الناسُ مادامت بها الثمرةْ
حتَّى إذا ماعرتْ مَنْ حَمْلها انصرفوا … عنها عقوقا وقد كانوا بها بررةْ
وحاولوا قطعها من بعد ماشفقوا … دهراً عليها من الأرياحِ والغبَرة
قلَّتْ مُروءاتُ أهل الأرض كلهم … إلا الأقلَّ فليس العُشرُ من عَشَرَةْ
لاتحمدنَّ امرءاً حتى تُجَرِّبه … فربُما لم يوافقْ خُبْرُه خَبَرُهْ

وقال :

كم خليل لك خـالـلْتَـهُ … لاترك اللهُ له واضحةْ
فكلُّهُم أروغُ من ثعلبٍ … ماأشبه الليلة بالبارحة

وقال :

ماتَ الوفاءُ فلا رفْدٌ ولاطمع … فى الناس لم يبق إلا اليأسُ والجزعُ
فاصبر على ثقة بالله وارضَ به … فالله أكرمُ مَنْ يُرجَى ويُتَّبَعُ

وقال :

ماأكثر الناس لابل ماأقلَّهم … الله يعلم أنى لم أقل فندا
وإنى لأفتح عينى حين أفتحها … على كثير ولكن لاأرى أحدا

(١) رزية : بلاء.
(٢) مخاتل : مخادع ومداهن.
(٣) موارب : منافق.

وقال:

إنَّ أخاكَ الحقَّ من كان معك … ومَنْ يَضُرُّ نفسهُ لينفعك
ومَنْ إذا ريبُ الزمان صَدعَكْ … شتَّت فيك شملهُ ليجمعَكْ

وينسب إليه انه قال:

ولو أنى بُليتُ بهاشميٍّ … خُؤولته بنو عبد الْمَدَان
صَبَرْتُ على عداوته ولكن … تعالوا فانظُروا بمَنْ ابتلانى

البعد عن الناس

الحمد لله لاشريك له … دأبى فى صُبْحه وفى غَلَسهْ
لم يبقَ لى مُؤنسٌ فيُؤْنسنُى … إلا أنيسٌ أخافُ مِنْ أنَسهْ
فاعتَزلْ الناس مااستطعت ولا … تركَنْ إلى مَنْ تَخافُ من دَنَسهْ
فالعبدُ يرجو ماليسَ يُدْرِكُهُ … والموت أدنى إليه من نَفَسه

وقال:

لو كانت الأرزاقُ تجرى على … مقدار مايستأهلُ العبدُ
لكان مَنْ يخدُمُ مُستخدما … وغابَ نحْسٌ وبدا سعْدُ
واعتدل الدهر إلى أهله … واتَّصلَ السُّؤدُد الواحد والمجدُ
لكنَّها تجرى على سمتها … كما يريدُ الواحد الفردُ

وقال:

كدُّ كَدَ العبد إن … أحببت أن تُصبحَ حُراً
واقطع الآمال من ما … ل بنى آدم طراً
لاتَقُل ذا مَكْسَبٌ يُزْ … رى فقصد الناس أزرى
أنت ماأستغنيتَ عن غي … رك أعلى الناس قدراً

قال على ـ كرم الله وجهه ـ سرك أسيرك . فإن تكلمت به صرت أسيره .

نظم بقوله:

سُنِ السِّرَّ عن كلِّ مُسْتَخْبِرٍ   وحاذرْ ، فما الحزمُ إلا الحَذَرْ

أسيرُك سِرُّكَ إنْ صُنْتَهُ   وأنتَ أسيرٌ له إنْ ظَهَرْ

قال لرجل كره صحبة رجل:

لا تصحبْ أخا الجهلِ   وإيَّاك وإيَّاه

فكم من جاهلٍ أرْدَى   حليماً حين آخاهُ

يُقاسُ المرءُ بالمرءِ   إذا ما هو ماشاهُ

وللقلبِ على القلبِ   دليلٌ حينَ يلقاه

وللشيءِ من الشيءِ   مقاييسُ وأشباهُ

وفي العينِ غنى للعينِ   أنْ تنطقَ أفواهُ

قال فى الأصدقاء:

تغيَّرت المودَّةُ والإخاءُ   وقلَّ الصِّدْقُ وانقطعَ الرجاءُ

وأسْلَمَنى الزمانُ إلى صديقٍ   كثيرِ الغدرِ ليس له رعاءُ

ورُبَّ أخٍ وفيتُ له بحقٍّ   ولكن لايدومُ له وفاءُ

أخلاءٌ إذا استغنيتُ عنهم   وأعداءٌ إذا نزلَ البلاءُ

يُديمون المودةَ ماراَوْنى   ويبقى الودُّ مابقى اللقاءُ

وإن غنيتُ عن أحدٍ قلانى   وعاقبنى بما فيه اكتفاءُ

سَيُغنين الذى أغناهُ عنى   فلا فقرٌ يدوم ولاثراء

وكلُّ مودة لله تصفو   ولايصفو مع الفسقِ الإخاءُ

وكل جراحةٍ فلها دواءٌ   وسوءُ الخُلُقِ ليسَ له دواءُ

وليس بدائمٍ أبدا نعيمٌ   كذاك البؤسُ ليس له بقاءُ

إذا أنكرْتَ عهداً من حميمٍ   ففى نفسى التكرمُ والحياءُ

إذا ما رأسُ أهلِ البيتِ ولّى   بدا لهم من الناسِ الجفاءُ

ضجر على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ من أهل الكوفة ، وكان كثيرا مايدعو عليهم ، وينشد :

خلُّوا سبيلَ العيرِ يأتِ أهلَه   سوف ترون فعلكم وفعلَهُ

فى الهجاء

قال فى أبى لهب:

أبا لهبٍ تبَّتْ يداك أبا لهبٍ   وتبَّت يداها تلك حمالةُ الحطبْ

خذلْتَ نبياً خيرَ من وطئ الحصى   فكنتَ كمن باعَ السلامةَ بالعطبْ

وخفْتَ أبا جهلٍ فأصبحتَ تابعاً   له وكذاك الرأسُ يتبعه الذنب

فأصبح ذاك الأمرُ عاراً يُهيلُهُ   عليك حجيجُ البيتِ فى موسمِ العرب

ولو كان من بعضِ الأعادى محمَّدٌ   لحاميتَ عنه بالرماحِ وبالقُضُبْ

ولم يُسْلِمُوهُ أو يصرعُ حولهُ   رجالٌ بلاءٌ فى الحروبِ ذوو حَسَبْ

وقال:

إنَّ يومى من الزبير ومن طلحةَ   فيما يسوءنى لطويل

ظلمانى ولم يكن علم الله   إلى الظلم لى لِخَلْقٍ سبيلُ

وقال:

وداوِ عدواً داؤه لاتُداره   فإنَّ مُداراة العِدَى ليس تنفعُ

فإنَّك لو داريت عامين عقرباً   وقد مُكِّنَتْ يوماً من الدَّهرِ تلسعُ

وقال :

لنا ماتدعونَ بغيرِ حقٍّ   إذا ميزَ الصحاحُ من المراضِ

عرفتم حقَّنا فجحدتموه   كما عُرفَ السوادُ من البياضِ

كتابُ الله شاهدنا عليكم   وقاضينا الإلهُ فنعمَ قاضِ

ومما ينسب إليه:

من لم يكن عنصراً طيباً   لم يخرجِ الطيبُ من فيه

كل امرئ يشبهه فعله   وينضح الكوز بما فيه

ومما ينسب إليه:

أُرى حـرباً مـغـيـبَّـةً وسلمـاً   ومـهـداً ليس بالعـهـد الوثيق
أرى أمـــــــــــراً تُـنَّـقـضَ   وحــبـلاً ليس بالحـبل الوثيق

فى المدح

« كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ كثيرا ماينشد هذا الشعر:

ألا قـدْ أرَى ـ والله ـ أنْ لسْتُ منكم   ولاأنتُـمُ منِّى ، وإن كنتمُ أهـلى
وإنِّـى ثـوىٌ[1] قـد أحمَّ انطلاقَـه   يُحـيِّـيـه مَنْ حـيَّاه وهو على رحْل
ومُنطلقٌ منكم بغـيـر صَـحَـابَة   وتابعُ إخوانى الذين مـضَـوا قـبلى
ألم أكُ قـد صـاحبتُ عـمْـراً ومالكاً   وأدْهَمَ[2] يغـدو فى فوارسَ أو رَجْل
وصـاحبْتُ شيبانا وصـاحبْتُ ضابياً   وصـاحَـبَنى الشُّمُ الطَّوالُ بنو شـبل
أولئك إخـوانى مَـضَـوا لسـبيلهم   يكاد يُنسِّـينى تذكـرهم عـقـلى
يقـولُ أنَاسٌ أخليـاء تَناسَــهُم   وليس بناس مـثلهم أبداً مـثلى
أولاكَ أخـلائى إذا مـاذكـرتُهُم   بكيتُ بعين مـاءعَـبْـرَتُهـا كُـحْلى
وكـانوا إذا مـا القـرُّ هبَّت رياحُـهُ   وضمَّ سـوادُ الليل رحْـلا إلى رحل
يُدرُونَ بالسـيف الوريدين والنَّسـا   إذا لـم يـقُـمْ رعـى أنـاس إلـى رسْل
إذا مــالقــوا أقـرانَهُم قـتلوهم   وإن قُـتلُوا ، لم يقْشَـعروا من القتل
وكم من أسـيـرٍ قـد فككتم قـيـودَهُ   وسَجْلٍ[3] دم أهْرَقْـتُـوهُ على سَجْلَ

(١) ثوى : المستقيم المستقر .
(٢) أدهم : فرس .
(٣) سجل : الدلو العظيمة .

وقال :

تلْكُم قـريشُ تُمنَّانى لتـقـتُلنى   فـلا وربك مـابرُّوا ومـا ظفـروا
فـإنْ بقـيتُ فـرَهْن ذمَّتى لكم   بذات ودْقين لاتعـفـو لهـا أثرُ
وإنْ هلكتُ فـإنِّى سـوف أورثُهم   ذُلَّ الحياة فقـد خانوا وقـد غـدروا
إمَّـا بقـيتُ فـإنِّى لستُ مُـتـخـذاً   أهلا ولا شيعة[1] فى الدين إذ فجروا
قـد بايعـونى ولم يُوفـوا ببيـعـتهم   ومـاكـرونى بالأعـداء إذ مكروا
وناصبـونى فى حرْبٍ مُضرَّسَة[2]   مـالم يلاق أبُو بكرٍ ولاعُـمَـرُ

وينسب إليه :

لاتظلمنَّ إذا مـاكنت مـقـتـدراً   فـالظُّلمُ مَـرتَعُـهُ يُفْـضى إلى الندمِ
تنام عـيْنُك والمظلوم مُنْتَبِـهٌ   يدعـو عليك وعينُ الله لم تنمِ

وينسب إليه :

النارُ أهونُ من ركـوب العـار   والعـارُ يُدْخلُ أهلَهُ فى النار
والعـارُ فى رَجُل يبيتُ وجـارُه   طاوى[3] الحشى مُـتـمـزِّق الأطمـار
والعـارُ فى هضْم الضعيف وظلمه   وإقـامـةِ الأخـيـار بالأشـرار

قال فى اليتيم:

مـاإنْ تأوَّهْتَ فى شيء رُزِئت[4] به   كـمـا تأوَّهْتَ للأطفال فى الصِّغَر
قـد مـاتَ والدُهُم من كـان يَكْفلُهُم   فى النائبات وفى الأسفار والحضر

فضل العلم والعقل

وقال:

الناسُ من جهة التِّمْثال أكْفَاءُ   أبـوهـم آدمُ والأمُّ حــــــواءُ
نفْسٌ كنفْسٍ ، وأرواحٌ مُـشـاكلَةٌ   وأعْظُمٌ خُلقتْ فـيـهـا وأعـضـاءُ

(١) شيعة : الفرقة أو الجماعة.   (٢) مضرسة : شديدة مهلكة .
(٣) طاوى : ملتهب الجوع .   (٤) رزئت : أصبت.

وإنما أمهـــات الناس أوعيــــة ... مستودعات وللأحساب آباءُ
فإن يكن لهم من أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماءُ
والفضل إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... وللرجال على الأفعال أسماء
وضد كل امرئ ما كان يجهله ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
وإن أتيت بجود من ذوى نسب ... فإن نسبتنا جود وعلياءُ
ففز بعلم ولا تطلب له بدلا ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال :

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسادهم قبل القبور قبورُ
وإن امرأً لم يحيى بالعلم ميت ... وليس له حتى النشور نشور

وقال :

إذا كنت لاتدرى ولم تك سائلاً ... عن العلم من يدرى ، جهلت ولم تدر
العلم زين فكن للعلم مكتسباً ... وكن له طالباً ماعشت مقتبسا
اركن إليه وثق بالله واعن به ... وكن حليماً رزين العقل محترسا
لاتأمن فإما كنت منهمكاً ... فى العلم يوماً وإما كنت منغمسا
وكن فى ماسكاً محض التقى ورعا ... للدين مغتنما للعلم مفترسا
فمن تخلق بالآداب ظل بها ... رئيس قوم إذا مافارق الرؤسا
واعلم هديت بأن خير صفا ... أضحى لطالبه من فضله سلسا

وقال:

رضينا قسمة الجبار فينا ... لنا علم وللجهال مالُ
فإن المال يفنى عن قريب ... وإن العلم باق لايزالُ

وينسب إليه :

كم أديب فطن عالم ... مستكمل العقل مقل عديم
ومن جهول مكثر ماله ... ذلك تقدير العزيز العليم

ومن كلامه المنظوم كرم الله وجهه مانقله صاحب الكنز المدفون:

ألا لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء ، وحرص واصطبار ، وبلغة ... وإرشاد أستاذ ، وطول زمان

وينسب إليه:

لو كان هذا العلم يحصل بالمنى ... ماكان يبقى فى البرية جاهل
اجتهد ولاتكسل ولاتك غافلا ... فندامة العقبى لمن يتكاسل

وينسب إليه فى العقل:

وأفضل قسم الله للمرء عقله ... فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومآربه
يعيش الفتى فى الناس بالعقل كاملا ... على العقل يجرى علمه وتجاربهْ
يزين الفتى فى الناس صحة عقله ... وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يشين الفتى فى الناس قلة عقله ... وإن كرمت أعراقه ومناسبهْ
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة ... فذو الجد فى أمر المعيشة غالبهْ

وقال فى العقل والحسب:

ليس البلية فى أيامنا عجبا ... بل السلامة فيها أعجب العجب
ليس الجمال بأثواب تزيننا ... إن الجمال جمال العقل والأدب
ليس اليتيم الذى قد مات والده ... إن اليتيم يتيم العلم والأدب

وينسب إليه :

أنا مذ كنت صبيا ... ثابت العقل جريًا
أقتل الأبطال قهراً ... ثم لاأفزع شيًا
ياسباع البر زيغى ... وكلى ذا اللحم نيًا

وقال:

رأيت العقل عقلين ... فمطبوعٌ ومسموعُ
ولاينفع مسموع ... إذا لم يك مطبوعُ
كما لاتنفع الشمس ... وضوءُ العينِ ممنوعُ

وقال :

يمثل ذو العقل فى نفسه ... مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم يُرَعْ ... لما كان فى نفسه مثلا
رأى الأمر يفضى إلى آخر ... فصيَّرَ آخره أولا
وذو الجهل يأمن أيامه ... وينسى مصارع من قد خلا
فإن بدهته صروف الزمان ... ببعض مصائبه أعولا
ولو قدم الحزم فى نفسه ... لعلمه الصبر عند البلا

وقال:

إذا اجتمع الآفات فالبخل شرها ... وشر من البخل المواعيد والمطل[(١)]
ولاخير فى وعد إذا كان كاذبا ... ولاخير فى قول إذا لم يكن فعلُ
إذاكنت ذا علم ولم تك عاقلا ... فأنت كذى نعل وليس له رجل
وإن كنت ذا عقل ولم تك عالما ... فأنت كذى رجل وليس له نعلُ
ألا إنما الإنسان غمدا[(٢)] لعقله ... ولاخير فى غمد إذا لم يكن نصلُ[(٣)]

قول الإمام فى النساء:

دَعْ ذكْرَهُنَّ فما لهنَّ وفاءُ ... ريحُ الصَّبا وعُهودُهُنَّ سواءُ
يكْسَرْنَ قلْبَكَ ثُمَّ لا يجْبُرْنه ... وقلوبُهُنَّ مِنَ الوفاء خلاءُ

(١) المطل : أجل الوفاء بوعده.
(٢) غمد : غلاف.
(٣) نصل : سيف.

وقال :

رأتك الليالى ياابن آدم ظالماً ... وخير الورى من يعف عند اقتداره
يقول لك العقل الذى زين الورى ... إذا لم تكن تقدر عدوك داره
ولاقيه بالترحيب والرحب والقرى ... ويمم له مادمت تحت اقتداره
وقبِّل يدَ الجانى الذى لست قادراً ... على قطعها وارقب سقوط جداره
إذا لم تكن فى منزل المرء حرَّةٌ ... تدبِّرُه ، ضاعت مصالح داره
فإن شئت أن تختر لنفسك حُرَّةً ... عليك ببيت الجود خذ من خيارةٍ
وإياك والبيت الدنى فربما ... تعار بطول فى الزمان بعاره
ففيهن من تأتى الفتى وهو معسرٌ ... فيصبح كلُّ الخير فى وسط داره
وفيهن من تأتيه وهو ميَسَّرٌ ... فيصبح لايملك عليق حماره
وفيهن من لايبِّض الله عرضها ... إذا غاب عنها الشخص طلت لجاره
وفيهن نسوة يُخرِّب كعبُها ... وفيهن من تغنيه عند افتقاره
فلا رحم الرحمن خائنةَ النسا ... ويحرق كل الخائنات بناره

وقال كرم الله وجهه : إياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهن إلى أفن [(١)] وعزمهن إلى وهن ، اكفف أبصارهن بالحجاب ، فإن شدة الحجاب خير لهن من الارتياب فإن استطعت أن لايعرفهن غيرك فافعل.

لاتأمنن من النساء ولو أخا ... مافى الرجال على النساء أمين
إن الأمين وإن تعفف جهده ... لابد أن بنظرة سيخون
القبر أوفى من وثقت بعهده ... ماللنساء سوى القبور حصون

(١) أفن : نقصان.

ومما ينسب إليه:

تَوقَّوا النساءَ فإنَّ النساءَ … نقصْنَ حُظُوظاً وعقلاً ودينا
وكُلٌّ به جاء نصُّ الكتاب … وأوضحَ فيه دليلاً مُبينا
فأما الدليلُ لنقص الحظوظ … فإرثُهُنَّ نصف إرث البنينا
ونصف العقول : فأجزاؤهنَّ … بنصف الشهادة فى الشاهدينا
وحسبُكَ من نقص أديانهنَّ … فالستُّ تزدادُ فيه يقينا
فواتُ الصلاة ، وترك الصيام … فى مدَّة الحيض حيناً فحينا
فلا تُطيعُوهنَ يوماً فقد … تكون الندامةُ منه سنينا

الصبر والرضا بالقضاء

كتب عقيل بن أبى طالب إلى أخيه ـ كرم الله وجهه ـ يسأله عن حاله فكتب على كتابا ختمه بهذا الشعر :

قال تسألنى كيف أنت فإنَّنى … صبورٌ على ريب الزمان صعيبُ
حريصٌ على أن لايُرَى بى كآبةٌ … فيشمتُ عادٍ أو يُساء حبيبُ

وقال

إنى أقول لنفسى وهى ضيِّقةٌ … وقد أناخ عليها الدهر بالعجب
صبراً على شدة الأيام إن لها … عقبى وماالصبرُ إلا عند ذى الحسب
سيفتح اللهُ عن قربٍ بنافعةٍ … فيها لمثلك راحاتٌ من التعب

وقال :

لاتُجزعنَّ إذا نَبَتْكَ نائبةٌ … واصبر ففى الصبر عند الضيق متسعُ
إنَّ الكريم إذا نابتهُ نائبةٌ … لم يبدُ منه على علاته الهلع

وقال :

إذا النائباتُ بلَغْنَ المدى … وكادتْ تذوب لهُنَّ المُهَجْ

وحلَّ البلاء وبانَ العزاءُ … فعند التناهى يكون الفرجْ

وقال :

إذا ماعَرَى خطبٌ من الدَّهْر فاصطبرْ … فإنَّ الليالى بالخطوب حواملُ
وكلُّ الذى يأتى به الدهرُ زائلٌ … سريعا فلا تجزعْ لما هو زائلُ

وقال :

لاتكره المكروه عند نزوله … إنَّ المكاره لم تزل مُتباينَة
كم نعمة لم تستقل بشُكْرِها … لله فى طىِّ المكاره كامنة

ويقول فى القدر:

إذا عقد القضاءُ عليك أمْراً … فليس يحُلُّه إلا القضاءُ
فما لك قد أقمتَ بدار ذُلٍّ … وأرض الله واسعةٌ فضاءُ
تبلغ باليسير فكلُّ شىء … من الدنيا يكون له انتهاءُ

وينسب إليه :

فما نُوب الحوادث باقياتٌ … ولا البُؤسى تدوم ولا النعيمُ
كما يمضى السرور وهوجمٌّ … كذلك مايسوؤك لايدوم
فلا تهْلَكْ على ما فات وجداً … ولاتعروك بالأسف الهمومُ

وقال :

تمتَّعْ بها ماساعفتك ولاتكن … عليك شجىً فى الصدر حينَ تبين
وإنْ هى أعطتْكَ الليانَ فإنَّها … لغيرك من خلانها سَتَلينُ
وإن حَلَفَتْ لاينقضى النأىُ عهدها … فليس لمخضوب البنان يمين

وقال :

تحرز من الدنيا فإنَّ فناءَها … محلُّ فناء لامحل بقاء
فصفوتُها ممخروجةٌ بكُدورة … وراحتها مقرونةٌ بعناء

وقال :

هى حـــالان : شـــدةٌ ورخـــاءُ ... وســـجَــالان : نعـــمـــةٌ وبلاءُ

والفتى الحاذق (١) الأريبُ إذا مـــا ... خـــانهُ الدَّهْرُ لم يخُنْهُ عـــزاءُ

إنْ ألَمتْ بى حـــالا فـــإنَّنى ... فى الملمـــات صـــخـــرةٌ صـــمـــاءُ

عـــالمٌ بالبـــلاء علمـــاً بأنَّ ليـــ ... ـــس يدوم النعـــيم والرخـــاء

وينسب إليه :

ويُحْـيـيكَ مـا يَفْنيكَ فى كُلِّ حـالة ... ويحـدوك حـاد مـايريد ربك الهـزاءُ

فتُـصْـبِحُ فى نفسٍ وتمشى بغـيـرهاً ... ومـــالك من عـــقلٍ تُحِسُّ به رزاءُ

وقال :

إذا جـادَت الدنيـا عليك فـجـد بهـا ... على الناس طُرا إنهـــا تتـــقلبُ

فـلا الجـود يفنيـهـا إذا هى أقـبلت ... ولا البـخل يبـقـيـهـا إذا هى تذهب

وينسب إليه :

فلم أرَ كـالدنيـا اغـتـرَّبهـا أهلهـا ... ولا كاليقين استأنس الدهرَ صاحبُه

أمُـــرُّ على رمْس (٢) القريب كـأنَّما ... أمُرُّ على رمس امرئ مات صاحبه

فـــوالله لولا أنَّنى كلُّ ســـاعـــة ... إذا شئتُ لاقيتُ أمرأً مات صاحبه

إذا مـــااعـــتـــريتُ الدهرَ عنه بحـيلة ... تجـــــدد حـــــزناكلَّ يومٍ نوادبُهْ

وقال :

للناس حـرص على الدنيـا بتـدبيـر ... وصـــفـــوها لك ممزوجُ بتكدير

كم من مُلِحٌ عليـهـــا لاتسـاعـده ... وعـاجـز نال دنيـاه بتـقـصـيـر

لم يرزقـوها بعـقل حـينا زرقـوا ... لكنهم رزقـــوهـا بالمقـــادير

لو كـــان عن قـــوة أو مـــغـــالبـــة ... طار البـزاة بأرزاق العـصـافـيـر

ولقـمـــة بجـريش الملح آكلهـا ... أحب من لقـمـة تحشى بزنبـور

(١) الحاذق : الماهر. (٢) الرمس : القبر.

كم لقـمـة جلبت حتـفـا لصـاحبـهـا ... كـحبـة القـمح دقت عُنُقَ عـصـفـورِ

وقال :

ومـــا الدهْرُ والأيامُ إلا كـــمـــا ترى ... رزيَّةُ مـــال أو فـــراقُ حـــبـــيب

وإنَّ امـرءا قـد جـرَّبَ الدهْرَ لم يخفْ ... تَقلُّبَ حـــاليـــه لغـــيـــرَ لبـــيبَ

وينسب إليه انه قال وهو ينصح ابنه:

حُـــــسينُ إذا كُنتَ فى بلدة ... غـــريبـــاً فـــعـــاشـــرْ بآدابهـــا

ولاتفـــخَـــرَنْ بينهم بالنهى ... فكلٌّ قـــبـــيل بألبـــابهـــا

ولـو عَـــمـــلَ ابنُ أبى طالب ... بهـــذى الأمـــور لفـــزنا بهـــا

ولكنه اعـــتَـــامَ أمـــرَ الإلهَ ... فـــأخـــرقَ فـــيـــهم بأنيـــابهـــا

عـــذيركَ مِنْ ثقـــة بالذى ... يُنيلُكَ دُنيـــاك من طابهـــا

فـــلاتمرَحـنَّ لأوزارهـا ... ولا تضْـــجَـــرَنَّ لأوصـــابهـــا

قسِ بالأمس كى تســـتـــريحَ ... ولاتبـــتـــغى ســـعى رُغَّـــابهـــا

وقال:

قـد رأيتُ القـرون كـيف تفـانتْ ... دَرَستْ ثم قـــيل كـــان وكـــانتْ

هى دنيـا كـحـيـة تنفث السُّمَ ... وإنْ لانت الـمـــجَـــسَّـــةُ لاَنَتْ

كم أمـور لقـد تشـدَّدتْ فـيـهـا ... ثم هوَّنتُـــهـــا علىَّ فـــهـــانتْ

وقال :

إنما الدنيـــــا فـــنـــاءٌ ... ليـس للدنيـــا ثبـــــوتْ

إنَّمـــا الدنيـــا كـــبـــيت ... نَسَـــجَـــتْـــهُ العنكبـــوتْ

ولقــد يكفـــيك منهـــا ... أيُّهـــا الطـالـبُ قـــوتْ

ولعـــمـــرى عن قليلِ ... كلُّ مَنْ فـــيـــهـــا يموتْ

وقال :

ألم تر أن الدهر يوم وليلة ... يكران من سبت جديد إلى سبت

فقل لجديد الثوب لابد من بلى ... وقل لاجتماع الشمل لابد من شتٍّ

ورأى علي – كرم الله وجهه – رجلا يمشي ويخطر بيديه ويختال فقال:

يامؤثر الدنيا على دينه ... والتائه الحيران عن قصده

أصبحت ترجو الخلد فيها وقد ... أبرز ناب الموت عن حده

وهيهات إن الموت ذو أسهم ... من يرمه يوما بها يرده

لايصلح الواعظ قلب امرئ ... لم يعرف الله على رشده

وينسب إليه انه قال :

تَجَوَّع فإنَّ الجوعَ من عمل التُّقَى ... وإنَّ طويلَ الجوعِ يوما سيشبعُ

وجانبْ صغارَ الذَّنْبِ لاتركبنَّها ... فإنَّ صغارَ الذَّنْبِ يوما ستُجْمَعُ

وقال:

رضيتُ بما قَسَمَ اللهُ لي ... وفوَّضْتُ أمري إلى خالقي

كما أحسن الله فيما مضى ... كذلك يُحسنُ فيما بقي

وينسب إليه :

مالي على فوت فائت أسَفُ ... ولاتراني عليه ألتَهفُ

ماقَدَّرَ اللهُ لي فليس له ... عنِّي إلى سواه مُنْصرَفُ

فالحمدُ لله لاشريك لهُ ... مالي فُوتٌ وهمِّي الشرفُ

أنا راضٍ بالعسر واليسر فما ... قد حالَ بي ذلةٌ ولا صَلَفُ

وقال :

الصَّبْرُ مفتاحُ مايُرْجى ... وكلُّ خيرٍ به يكونُ

فاصبرْ وإنْ طالت الليالي ... فربما طاوعَ الحَرُونُ

وربما نيل باصطبارٍ ... ماقيل هيهاتَ مايكونُ

وقال :

ما لايكونُ فلا يكونُ بحيلة ... أبداً وماهو كائنٌ سيكونُ

سيكونُ ماهو كائنٌ في وقته ... وأخو الجهالة مُتْعَبٌ مَخْزونُ

يسعى القويُّ فلا ينالُ بسعيه ... حظًّا ويحظى عاجزٌ ومَهينُ

وينسب إليه رضي الله عنه:

أتصبرُ للبلوى عزاءً وحسبَةً ... فَتُؤجَرَ أم تسلو سُلُوَّ البهائم

خُلقْنا رجالاً للتجلُّد والأسى ... وتلك الغواني للبُكا والمآتِمِ

وينسب إليه :

عسى مَنْهلٌ يصفو فيروى ظميَّةً ... أطالَ صداها المنهَلُ المتكدِّرُ

عسى بالجيوب العاريات ستُكْتَسى ... وبالمُسْتَذَلِّ المستَضام سيُنْصَرُ

عسى جابرُ العَظْمِ الكسير بلطفه ... سيرتاح للعَظْمِ الكسيرِ فيجبُرُ

عسى الله لاتيأس من الله إنه ... يسيرٌ عليه مايعزُّ ويعسُرُ

أتى رجل إلى علي وقال له : قد عيل صبري فأعطني قال : أنشدك شيئا أم أعطيك فقال : كلامك أحب إلي من عطائك فقال :

إن عضَّك الدهرُ فانْتَظر فَرَجاً ... فإنَّه نازلٌ بمُنْتَظره

أوْ مسَّك الضُّرُّ أو بُليتَ به ... فاصبرْ فإنَّ الرخاءَ في أثَره

كم من مُعَانٍ على تهوُّره ... ومُبتلى ماينامُ من حَذَرَه

وآمن في عَشاء ليلَته ... دبَّ إليه البلاءُ في سَحَرَه

مَنْ مَارَسَ الدَّهْرَ ذمَّ صُحْبَتَهُ ... ونال من صفوه ومن كَدَرَه

وقال :

خليليَّ لا والله مَنْ مِنْ مُلمَّة ... تدوم على حيٍّ وإن هى جلَّت
فإنْ نزلَتْ يوما فلا تَخْضَعَنْ لها ... ولا تُكْثر الشكوى إذا النَّعْل زلَّت
فكم من كريم يُبْتَلَى بنوائب ... فصابَرَهَا حتى مضَتْ واضمحَلَّتَ

وينسب إليه :

عجبتُ لجازع باكٍ مُصاب ... بأهل أو حميم ذى اكتئاب
يشقُّ الجيبَ يدعو الويلَ جهلاً ... كأنَّ الموتَ بالشىء العُجاب
وأمرُ الله فيه الخلقُ حتى ... نبىّ الله منه لم يُحاب
لهُ مَلكٌ ينادى كلَّ يوم ... لدوا للموت وابْنوا للخراب

وقال :

إذا شئتَ أنْ تَسْتَقرِضَ المال مُنْفقاً ... على شهوات النفس فى زمن العُسر
فَسَلْ نَفْسَكَ الإنفاقَ من كنز صبرها ... عليك وإنظاراً إلى زمن اليُسر
فإنْ سمَحَتْ كُنْتَ الغنىَّ وإن أبَتْ ... فكلٌّ ممنوع بعدها واسعُ العذر

وينسب إليه انه قال :

أيا مَنْ ليس لى منه مجيرُ ... بعفوك من عقابك أستجيرُ
أنا العبدُ المقرُّ بكلّ ذَنْب ... وأنتَ السيدُ الصمدُ الغفورُ
فإنْ عذَّبْتَنى فالذنبُ منىَ ... وإن تغفرْ فأنتَ به جديرُ

وقال :

لاتتَّهمْ ربَّكَ فيما قضَى ... وهَوِّن الأمرَ على النفس
لكُلِّ هَمٍّ فَرَجٌ عاجلٌ ... يأتى على المُصْبِح والمُمْسى

وقال :

غنَى النفس يكفى النفسَ حتى يكُفَّها ... وإن أعْسَرَتْ حتى يضُرَّ بها الفقرُ
فما عُسْرَةٌ فاصبرْ لها إنْ لقيتها ... بدائمة حتى يكون لها يُسرُ

وقال :

وهَوِّنْ عليك فإنَّ الأمور ... بكَفِّ الإله مقاديرها
فليس بآتيك منهيُّها ... ولا قاصرٌ عنك مأمورها

وقال :

اصبرْ قليلاً فبعْدَ العُسر تيسيرُ ... وكلُّ أمر له وقْتٌ وتدبيرٌ
وللمُهَيْمِن فى حالاتنا نظرٌ ... وفوقَ تقديرنا لله تقديرُ

وينسب إليه :

لاتعْتَبَنَّ على العباد فإنَّما ... يأتيك رزقك حين يُؤذنُ فيه
سبقَ القضاءُ لوقته فكأنَّهُ ... يأتيك حين الوقتُ أو تأتيه
فثِقْ بمولاكَ الكريم فإنَّه ... بالعبد أرأفُ من أب ببنيه
وأشعْ غناكَ وكُنْ لفقْرِكَ صائناً ... يضْنَى حشاكَ وأنتَ لاتشفيه
فالحُرُّ ينحلُ جسمَهُ إعدامُهُ ... وكأنَّهُ من جسْمه يُخْفيه

وينسب إليه :

ألا فاصبر على الحدث الجليل ... وداو جَوَاك بالصبر الجميل
فلا تجزع إذا أعْسَرْتَ يوماً ... فقد أيسرْتَ فى دهر طويل
ولاتيأسْ فإنَّ اليأسَ كُفْرٌ ... لعلَّ الله يُغْنى من قليل
ولاتظنُنْ بربِّك ظنَّ سوء ... فإنَّ اللهَ أولى بالجميل
وإنَّ العُسرَ يتبعه يَسَارٌ ... وقولَ الله أصدقَ كلّ قيل
فلو أنَّ العُقولَ تَجرُ رزقاً ... لكان الرزقُ عندَ ذوى العقول
وكم من مُؤمن قد جاعَ يوماً ... سيُروى من رحيق سلسبيل

وقال فى الدهر:

الدهْرُ يخنق أحياناً قلادتَه ... عليك لاتضطرب فيه ولاتَثب
حتى يُفرِّجَها فى حال مُدَّتها ... فقد يزيدُ اختناقاً كلَّ مُضطرب

وقال :

إنِّى أقولُ لنفسى وهى ضيقةٌ … وقد أناخَ عليها الدهرُ بالعجبِ

صبراً على شدةِ الأيامِ إنَّ لها … عُقْبى وماالصبرُ إلا عند ذى الحسبِ

سيفتحُ الله عن قُربٍ بنافعةٍ … فيها لمثلك راحاتٌ من التعبِ

وقال:

فلو كانت الدنيا تُنالُ بفطنة … وفضلٍ وعقلٍ نلتَ أعلى المراتبِ

ولكنما الأرزاق حظٌ وقسمةٌ … بفضلِ مليكٍ لابحيلةِ طالبِ

وقال :

وكم لله من لُطفٍ خفىٍّ … يدقُّ خفاهُ عَنْ فَهْمِ الذكى

وكم يُسْرٍ أتى من بعد عسرٍ … ففرَّجَ كُرْبةَ القلبِ الشجى

وكم أمرٍ تُساءُ به صباحاً … وتأتيك المسرةُ بالعشىِّ

إذا ضاقتْ بك الأحوالُ يوماً … فثقْ بالواحدِ الفردِ العلىِّ

توسل بالنبى فى كل خطبٍ … يهونُ إذا تُوُسِّلَ بالنبى

ولاتجزع إذا ما نابَ خطبٌ … فكم لله من لُطفٍ خفىٍّ

وقال عن الفرج بعد الضيق:

إذا اشتملتْ على اليأسِ القلوبُ … وضاقَ لما به الصَّدْرُ الرحيبُ

وأوطنت المكاره واستقرتْ … وأرْسَتْ فى أماكنها الخطوبُ

ولم ترَ لانكشافِ الضُّرِ وجهاً … ولاأغنى بحيلته الأريبُ

أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ … يَمُنُّ به اللطيفُ المستجيبُ

وكلُّ الحادثات إذا تناهتْ … فموصولٌ بها فرجٌ قريبُ

وقال :

هوِّن الأمرَ تعشْ فى راحةٍ … كلُّ ما هونت من أمرٍ يهونُ

ليس أمرُ المرءِ سهلاً كلُّهُ … إنَّما المرءُ سهولٌ وحزونُ

تطلُبِ الراحةَ فى دارِ العنا … خابَ من يطلبُ شيئاً لايكونِ

وينسب إليه :

من لم يكن جَدُّهُ مساعدَهُ … فحتفُه أنْ يجدَّ فى الحركةْ

فقُلْ لمَنْ حالُهُ مُوَلِّيَةٌ … لاتعرضنَّ بالحراكِ للهلكةْ

وقال :

صبرُ الفتى لفقره يُجلُّهُ … وبذلُه لوجهه يُذلُّهُ

يكفى الفتى من عيشه أقلُّهُ … الخُبْزُ للجائعِ أُدْمٌ كلُّهُ

وقال فى الفقر :

غالبْتُ كلَّ شديدة فغلبتُها … والفقرُ غالبنى فأصبحَ غالبى

إنْ أبْدِه يفضحْ وإنْ لم أبْدِه … يقتُلْ فقُبِّحَ وجهُهُ مِنْ صاحبِ

وقال :

بلوتُ صروفَ الدهرِ سنينَ حجةً … وجَربتُ حاليه من العُسْرِ واليسرِ

فلم أرَ بعدَ الدين خيراً من الغنى … ولم أرَ بعدَ الكفرِ شراً من الفقرِ

وقال :

دليلك أن الفقر خير من الغنى … وأن القليل المال خيرٌ من المثرى

لقاؤك مخلوقاً عصى الله بالغنى … ولم تر مخلوقاً عصى الله بالفقر

وقال:

ألم تر أنّ الفقرَ يُرْجَى لهُ الغنَى … وأَ الغنَى يُخشىَ عليه من الفقر ؟

وينسب إليه :

مساكينُ أهل الفقر حتى قبورهم … عليها ترابُ الذلِّ بين المقابرِ

ومن كلامه كرم الله وجهه:

لاتطلُبَنَّ معيشةً بمذلة … وارْفَعْ بنفسك عن دنىِّ المطلبِ

وإذا افتقرتَ فداوِ فقرك بالغنىَ … عن كلِّ ذى دَنَسٍ كجلدِ الأجْربِ

فليرجعن إليك رزقك كله … لو كان أبعدَ من محلِّ الكوكبِ

وقال:

النفس تجزع أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطغيها

وغنى النفس هو الكفاف وإن أبت ... فجميع مافى الأرض لايكفيها

وينسب إليه :

لو كان بالحيل الغنى لوجدتنى ... بنجوم أقطار السماء تعلقى

لكن من رزق الغنى حرم الحجى ... ضدان مفترقان أى تفرق

وقال :

وكم ساع ليثرى لم ينله ... وآخر ماسعى الخلق الثراء

وساع يجمع الأموال جمعاً ... ليورثها أعاديه شقاء

وماسيان ذو خبر بصير ... وآخر جاهل ليسا سواء

ومن يستعتب الحدثان يوما ... يكن ذاك العتاب عناء

ويزرى بالفتى الإعدام حتى ... من يصب المقال يقل أساء

قال :

يغطى عيوب المرء كثرة ماله ... يُصَدَّقُ فيما قال وهو كذوب

ويزرى بعقل المرء قلة ماله ... يُحَمِّقُهُ الأقوامُ وهو لبيب

وقال :

ومن البلاء وللبلاء علامةٌ ... أن لايُرَى لك عن هواك نُزوعُ

العبدُ عبدُ النفس فى شهواتها ... والحرُّ يشبعُ تارة ويجوع

وكفاك من عِبَرِ الحوادثِ أنَّهُ ... يبلى الجديدُ ويحصدُ المزروعُ

وينسب إليه:

لئن ساء فى دهر عزمت تصبرا ... فكل بلاء لايدوم يسير

وإن سرنى لم أبتهج بسروره ... فكل سرور لايدوم حقير

وقال :

لئن ساءنى دهر لقد سرنى دهر ... وإن مسنى عسر فقد مسنى يسر

لكل من الأيام عندى عادة ... فإن ساءنى صبر وإن سرنى شكر

وقال :

ماهذه الدنيا وطالبها ... إلا عناء وهو لايدرى

إن أقبلت شغلت ديانته ... أو أدبرت شغلته بالفقر

وينسب إليه :

أرى المرء والدنيا كمال وحاسب ... يضم عليه الكف والكف فارغ

وينسب إليه:

أرى الدنيا ستؤذن بانطلاق ... مشمرة على قدم وساق

فلا الدنيا بباقية لحى ... ولاحى على الدنيا بباق

وقال:

أف على الدنيا وأسبابها ... فإنها للحزن مخلوقة

همومها ماتنقضى ساعة ... عن ملك فيها وعن سوقة

وينسب إليه:

لاتبخلى بدنيا وهى مقبلة ... فلن يُنَقِّصها التبذير والسرف

وإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فالجود فيها إذا ماأدبرت خلف

وقال :

غنى النفس يكفى حتى يَكُفُّها ... وإنْ أعْسَرْتَ حتى يضُرَّ بها الفقر

فما عُسْرَةٌ ـ فاصبر لها إن لقيتَها ـ ... بدائمة حتى يكون لها يسر

ومَنْ لم يُقاسِ الدَّهْرَ لم يعرف الأسى ... وفى غير الأيام ما وعد الدهرُ

وقال :

جميع فوائد الدنيا غرور ... ولايبقى لمسرور سرور

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... فإن نوائب الدنيا تدور

وقال :

أحسنتَ ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وينسب إليه :

رأيت الدهر مختلفاً يدور ... فلا حزن يدوم ولا سرور
وقد بنت الملوك به قصوراً ... فلم تبق الملوك ولا القصور

وقال :

ألم تر أن البحر ينب ماؤه ... ويأتى على حيتانه نوب الدهر

نزل علي بن أبى طالب إلى بيت المال ففرق مافيه ثم جعل يقول:

أفلح من كانت له قوصرة
يأكل منها كل يوم تمرة

وقال :

تؤمل فى الدنيا طويلا ولاتدرى ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش دهراً إلى دهر
وكم من فتى يصبح آمناً ... وقد نسجت أكفانه وهو لايدرى

وينسب إليه:

نحن بنو الأرض وسكانها ... منها خلقنا وإليها نعود
والسعد لايبقى لأصحابه ... والنحس تمحوه ليالى السعود

كان على ـ كرم الله وجهه ـ إذا دخل بيت المال ونظر إلى مافيه من الذهب والفضة قال :

اصبر على الدهر لاتغضبْ على أحد ... فلا تَرَى غير مافى الدهر مخطوطُ
ولاتُقيمنَّ بدارٍ لاانتفاع بها ... فالأرضُ واسعةٌ والرزقُ مبسوطُ

وقال :

ومن يصحب الدنيا يكن مثل قابض ... على الماء خانته فروج الأصابع

وقال:

دع الحرص على الدنيا ... وفى العيش فلا تطمع
ولاتجمع من المال ... فلا تدرى لمن تجمع
ولاتدرى أفى أرضك ... أم فى غيرها تصرع
فإنَّ الرزق مقسوم ... وسوء الظن لاينفع
فقير كل من يطمع ... غنيٌ كلُّ من يقنع
من جاور النعمة بالشكر لم ... يخشَ على النعمة مغتالها
والكفر بالنعمة يدعو إلى ... زوالها ، والشكر أبقى لها

وينسب إليه :

هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى الزوال؟
وماترجو لشىء ليس يبقى ... وشيكاً ماتغيره الليالى

وينسب إليه:

يامن بدنياه اشتغل ... وغره طول الأمل
الموت يأتى بغتة ... والقبر صندوق العمل

وقال:

إنما الدنيا كظل زائل ... أو كضيف بات ليلاً فارتحل
أو كطيف قد يراه نائم ... أو كبرق لاح فى أفق الأمل

دخل جابر بن عبد الله الأنصارى على أمير المؤمنين على ـ كرم الله وجهه ـ ، فقال له : ياجابر قوام الدنيا بأربعة : عالم يستعمل علمه ، وجاهل لايستنكف أن يتعلم، وغنى جواد بمعروفه ، وفقير لايبيع دينه بدنيا غيره ، فإذا كتم العالم العلم لأهله ، وزهد الجاهل فى تعلم مالا بد منه وبخل الغنى بمعروفه ، وباع الفقير أخرته

بدنيا غيره ، حل البلاء وعظم العقاب ، ياجابر من كثرت حوائج الناس إليه فإن فعل مايجب لله عليه عرضها للدوام ، والبقاء ، وإن قصر فيما يجب لله عليه عرضها للزوال والفناء ، وأنشد يقول :

ما أحسنَ الدنيا وإقبالها ... إذا أطاع اللهَ مَنْ نالها
من لم يُواسِ الناسَ من فضله ... عرَّض للإدبار إقبالها
فاحذرْ زوالَ الفضلَ ياجابرُ ... وأعْطِ منْ دنياك مَنْ سألها
فإنَّ ذا العرْشِ جزيلُ العطا ... يُضاعف بالحبة أمثالها
وكم رأينا من ذوى ثروة ... لم يقبلوا بالشكر إقبالها
تاهوا على الدنيا بأموالهم ... وقيدوا بالبخل أقفالها
لو شكروا النعمة زادتهم ... مقالةً لله قد قالها
«لئن شكرتم لأزيدنكم» ... لكنما كُفرهُم غالها

وقال:

فمن يحمد الدنيا لعيش يسرُّه ... فسوف لَعَمْرى عن قليل يلومُها
إذا أقبلتْ كانت على المرء حسرةً ... وإن أدْبَرَتْ كانت كثيراً همومُها

* * *

أنا بالدهر عليمٌ ... وأبو الدهر وأمُّهْ
ليس يأتى الدهرُ يوماً ... بسرور فيُتمُّه

وقال :

دنيا تحولُ بأهلها ... فى كل يوم مرتين
فغدوها لتجمُّع ... ورواحها لشتات بيْنْ

وقال : إن احسن المال ماأكسب حمداً وأعقب أجرا ثم أنشأ:

لاتخضعنَّ لمخلوق على طمع ... فإنَّ ذلك وهْنٌ منك فى الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه ... فإنما الأمرُ بين الكاف والنون
إنَّ الذى أنت ترجوه وتأمله ... من البرية مسكين ابنُ مسكين

ما أحسنَ الجودَ فى الدنيا وفى الدين ... وأقبح البخل فيمن صيغ من طين
ما أحسن الدِّين والدنيا إذا اجتمعا ... لابارك الله فى دنيا بلا دين
لو كان باللُّب يزدادُ اللبيبُ غنىً ... لكان كلُّ لبيب مثل قارون
لكنما الرزقُ بالميزان من حكم ... يُعْطى اللبيب ويعطى كل مأفون

وينسب إليه :

عجبا للزمان فى حالتيه ... وبلاء ذهبت منه إليه
ربَّ يوم بكيت منه فلما ... صرتُ فى غيره بكيت عليه

ومما روى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولعله تمثل به من قول غيره:

لو كان فى صخرة فى البحر راسية ... صماءَ ملمُومة مُلسٌ نواحيها
رزقٌ لعبد يراهُ الله ، لانْعَلَقتْ ... حتى يُودَّى إليه كلُّ مافيها
أو كان تحت طباق السبع [1] مطلبها ... لسهَّل الله فى المرقى مراقيها [2]
حتى تودَّى الذى فى اللوح خُطَّ له ... إنْ هى أتتْه ، وإلا سوف يأتيها

* * *

كان رضى الله عنه لايدع مالا فى بيت المال يبيت حتى يقسمه ، إلا أن يغلبه فيه شغل ، فيصبح إليه ، وكان يقول :

هذا جَنَاى خيارُهُ فيه
وكلُّ جانٍ يدُه إلى فيه

(١) **طباق السبع** : إشارة إلى السماوات.
(٢) **مراقيها** : الصعود نحوها.

وقال فيما ينسب إليه:

تنكَّرَ لى دَهرى ، ولم يدر أنَّنى ... أعزُّ وروعاتُ الخطوب تهونُ

فظل يرينى الخطبَ كيف اعتداؤه ... وبتُّ أريه الصبرَ كيف يكونُ

وقال رضى الله عنه :

هوِّن الأمرَ تَعِشْ فى راحة ... كل ماهوَّنت إلا سيهون

ليس أمرُ المرء سهلاً كلُّهُ ... إنما الأمرُ سهولٌ وحزون

تطلب الراحة فى دار العنا ... خاب من يطلب شيئا لايكون

وقال :

الصبرُ مفتاحُ مايُرَجَّى ... وكل خير به يكونُ

فاصبرْ وإن طالت الليالى ... فربما طاوعَ الحرونُ

وربما نيل باصطبار ... ماقيل هيهاتَ مايكونُ

جاء فى الفرج بعد الشدة : « حدثنى أحمد بن محمد الأزدى ، المعروف بأبى عمر بن يتزل العطار ، الشاعر ، قال : بتُّ ليلة ، ، حرج الصدر ، ضيقه ، فرأيت فى منامى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ ، وهو ينشد فى أبياتاً فى الفرج فانتبهت ولم يبق فى حفظى منها إلا قوله :

وحميد مايرجوه ذو أفل ... فرج يعجله له صبرُ

وقال رضى الله عنه :

إذا هبَّتْ رياحُكَ فاغتنمها ... فَعُقْبى كلُّ خافقة سكونُ

ولاتغفل عن الإحسان فيها ... فما تدرى السكونُ متى يكونُ

وإن دَرَّتْ نياقُك فاحتلبها ... فما تدرى الفُصيلُ لمن يكونُ

إذا ظفِرَت يداك فلا تُقَصِّرْ ... فإن الدَّهرَ عادَتُه يخونُ

وينسب إليه :

أصبحت بين الهموم والهِمَم ... هموم عَجْز وهمَّة الكَرَمِ

طوبى لمن نال قدْرَ همته ... أو نال عزَّ القنوع[1] بالقسم

النصح والاستعداد للآخرة

وقال:

حياتك أنفاس تعد فكلما ... مضى نَفَسٌ أنقضت به جزاء

وينسب إليه:

مضى أمسُكَ الباقى شهيداً مُعَدَّلاً ... وأصبحتَ فى يوم عليك شهيدُ

فإنْ كُنْتَ بالأمس اقترفتَ إساءةً ... فثَن[2] بإحسان وأنتَ حميدُ

ولاتُرج فعْلَ الخير يوماً إلى غد ... لعلَّ غداً يأتى وأنتَ فقيدُ

ويومك إنْ عاينْتَه عادَ نفْعهُ ... إليك وماضى الأمسِ ليس يعودُ

وقال :

كلُّ ماضٍ فكأنْ لم يكن ... كلُّ آتٍ فكأنْ قدْ

وقال :

إن الذين بنَوا فطالَ بناؤهم ... واستمتعوا بالأهلِ والأولادِ

جرَت الرياحُ على محل[3] ديارهم ... فكأنَّهم كانوا على ميعادِ

(١) **القنوع** : الذى يرضى بقضاء الله .
(٢) **فثن** : معناها هنا أتبع .
(٣) **محل** : مكان .

وينسب إليه :

إلهى لا تعذبنى فإنى ... مقر بالذى قد كان منى

فما لى حيلة إلا رجائى ... بعفوك إن عفوت وحسن ظنى

فكم من زلة لى فى الخطايا ... عضضت أناملى وقرعت سنى

قال الإمام يصف هيئة يد الوليد عند إهلاله ويده عند موته:

وفى قبض كف الطفل عند ولاده ... دليل على الحرص المركب فى الحى

وفى بسطها عند الممات مواعظ ... ألا فانظرونى ، خرجت بلا شى

تظن الناس بى خيراً وإنى ... لشر الخلق إن لم تعف عنى

وبين يدى محتبس طويل ... كأنى قد دعيت له كأنى

أجن بزهرة الدنيا جنونا ... وأفنى العمر منها بالتمنى

فلو أنى صدقت الزهد فيها ... قلبت لها ظهر المجن

وينسب إليه:

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت ... أن السلامة فيها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التى كان قبل الموت بانيها

فإن بناها بخير طاب مسكنها ... وإن بناها بشر خاب بانيها

أين الملوك التى كانت مسلطنة ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

أموالنا لذى الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

كم من مدائن فى الآفاق قد بنيت ... أمست خراباً ودان الموت دانيها

لكل نفس وإن كانت على وجل ... من المنية آمال تقويها

فالمرء يبسطها والدهر يقبضها ... والنفس تنشرها والموت يطويها

وقال ـ رضى الله عنه ـ :

عُدّ من نفسك الحياة فصنها ... وتوق الدنيا ولا تأمننها

إنما جئتها لتستقبل الموت ... وأدخلتها لتخرج عنها

سوف يبقى الحديث بعدك فانظر ... أى أحدوثة تحب فكنها

ومما ينسب إليه :

إنما نعمة الدنيا متعة ... وحياة المرء ثوب مستعار

وصروف الدهر فى أطباقه ... حلقة فيها ارتفاع وانحدار

بينما الإنسان فى عليائها ... إذ هوى فى هوة منها فغار

وينسب إليه:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة ... فإن ثواب الله أعلى وأنبل

وإن تكن الأرزاق حظا وقسمة ... فقلة حرص المرء فى الكسب أجمل

وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به الحر يبخل

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت ... فقتل امرئ لله بالسيف أفضل

عليكم سلام الله يا آل أحمد ... فإنى أرانى عنكم سوف أرحل

اعترضت مفاتن الدنيا بشكل ضبية حسناء الإمام على فى فدك . . . وقالت : أنا الدنيا ! فقال : اذهبى فاطلبى زوجا غيرى ، فلست من شأنى ، وأقبل على مسحاته ، وأنشأ :

لقد خاب من غرته دنيا دنية ... وماهى ، وإن غرت ، قرونا ، بباطل

أتتنا على زى العروس بثينة ... وزينها فى مثل تلك الشمايل [١]

فقلت لها : غرى سواى ، فإننى ... عزوف [٢] عن الدنيا ، ولست بجاهل

وما أنا والدنيا ، وإن محمداً ... رهين بقفر بين تلك الجنادل [٣]

وهبها أتتنى بالكنوز ودرها ... وأموال قارون وملك القبايل

أليس جميعا للفناء [٤] مصيرنا ... ويطلب من خزانها بالطوايل

فغرى سواى ، إننى غير راغب ... لما فيك من عز وملك ونايل

وقد قنعت نفسى بما قد رزقته ... فشأنك يادنيا ، وأهل الغوايل

(١) الشمايل : الخصال. (٢) عزوف : مبتعد.

(٣) الجنادل : الصخور . (٤) الفناء : الموت والهلاك .

فإنى أخاف الله يوم لقائه ... وأخشى عذابا دائما غير زايلِ

وقال :

إذا عاش الفتى ستين عاماً ... فنصفُ العمر تمحقه الليالى
ونصف النصف يذهبُ ليس يدرى ... لغفلته ، يمينا من شمال
وثلثُ النصف آمالٌ وحرصٌ ... وشُغلٌ بالمكاسب والعيال
وباقى العمر أسْقامٌ وشيبٌ ... وهمٌّ بارتحال وانتقال
فحبُّ المرء طول العمر جهلٌ ... وقسمته على هذا المثالَ

وقال:

ما الدهرُ إلا يقظةٌ ونومُ ... وليلة بينهما يومُ
يعيش قومٌ ويموت قومُ ... والدهر قاضٍ ما عليه لومُ

روى أن ـ عليا رضى الله عنه ـ دعا الناس للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادى ، فرده مرتين ثم أتاه فقال : مايحبس أشقاها ؟ لتخضبن ـ أى لتصبغن ـ هذه من هذا (يعنى لحيته من رأسه) .

أشدُدْ حيازيمك للموت ... فإنَّ الموتَ آتيك
ولاتجزع من القتلِ ... إذا حلَّ بواديكَ

وقال رضى الله عنه للمرادى:

أريدُ حباءَهُ ويريد قتلى ... عذيرُك من خليلك من مرادِ

وينسب إليه:

قَصُرَ الجديدُ إلى بلى ... والوصلُ فى الدنيا انقطاعُهْ
أىُّ اجتماعٍ لم يَصِرْ ... لتَشتُّت منه اجتماعُهْ
أم أىُّ شعْبٍ لالتئامٍ ... لم يُفرِّقْهُ انصداعُهْ
أم أىُّ مُنتَفِعٍ بشىء ... ثم تم له انتفاعُهْ
يابؤسَ للدهرِ الذى ... مازال مختلفا أطاعُهْ

قد قيل فى أمثالهم ... يكفيك من شرٍ سماعُهْ

وينسب إليه :

سل الأيامَ عن أمم تقضّتْ ... ستُخبرُك المعالمُ والرسومُ
تروم الخلْدَ فى دار المنايا ... فكم قد رام مثلك ماترومُ
تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبّه للمنيّة يانؤوم(١)
لهوتَ عن الفناء وأنت تفنَى ... فما شىءٌ من الدنيا يدومُ
تموتُ غداً وأنت قريرُ عينٍ ... من الفضلاتِ فى لُجٍ تعومُ

وينسب إليه أنه قال :

قريحُ (٢) القلب من وجع الذنوب ... نحيل الجسم يشهقُ بالنحيب
أضر بجسمه سهرُ الليالى ... فصار الجسم منه كالقضيب
وغيّر لونه خوفٌ شديدٌ ... لما يلقاه من طول الكروب
ينادى بالتضرُّع ياإلهى ... أقلنى عثرتى واستُرْ عيوبى
فزعْتُ إلى الخلائق مستغيثاً ... فلم أرَ فى الخلائق من مجيب
وأنت تجيب من يدعوك ربى ... وتكْشفُ ضُرُّ عبدك ياحبيبى
ودائى باطنٌ ولديك طبٌّ ... ومَنْ لى مثلُ طبِّكَ ياطبيبى

وقال فى فرقة الشباب والأحباب:

شيئان لو بكت الدماءَ عليهما ... عيناى حتى تأذنا بذهاب
لم تبلغ المعشارَ من حقّيهما ... فقْدُ الشباب وفرقةُ الأحباب

وينسب إليه أنه قال :

ذهب الذين عليهم وجدى ... وبقيت بعد فراقهم وحدى
من كان بينك فى التراب وبينه ... شبران فهو بغاية البعد

---

(١) نؤوم : شدة مبالغة فى النوم.
(٢) قريح : جريح.

لو كُشفتَ للمرء أطباقُ الثرى ... لم يعرف المولى من العبد
من كان لايطأ الترابَ برجله ... يطأ الترابَ بناعم الخدِّ

وينسب إليه أنه قال فى الليلة التى ضرب فيها :

أشدُدْ حيازيمك للموت ... فإنَّ الموتَ لاقيكا
ولاتجزعْ من الموت ... إذا حلَّ بواديكا
فإنَّ الدِّرْعَ والبيضةَ ... يوم الروع يكفيكا
كما أضحك الدهر ... كذاك الدهرُ يبكيكا
فقد أعرفُ أقواماً ... وإن كانوا صعاليكا
مساريعُ إلى النجد ... ةِ للغى نتاريكا

وينسب إليه :

يعزُّوننى قومٌ بَراءٌ من الصبر ... وفى الصبر أشياءٌ أمرُّ من الصبر
يُعَزِّى المُعَزِّى ثم يمضى لشأنه ... ويبقى المعزَّى فى أحَرَّ من الجَمْرِ

قال حين زار القبور:

سلامٌ على أهل القبور الدوارس[1] ... كأنهُم لم يجلسوا فى المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شَرْبةً ... ولم يأكلوا من خير رطب ويابس
ألا خبِّرونى أين قبرُ ذليلكم ... وقبر العزيز الباذخ المتنافس

وقال :

والله لو عاش الفتى من دهره ... ألفاً منَ الأعوام مالك أمْره
مُتلذِّذاً فيه بكل هنيةٍ ... ومبلغاً كلَّ المنى من دهره
لايعرفُ الآلامَ فيها مرةً ... كلا ولاجرت الهموم بفكره
ماكان ذاك يُفيدُهُ من عظم ما ... يلقى بأول ليلةٍ فى قبره

---

(١) الدوارس : المختفية .

ومن شعره بعد موت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

غرَّ جهولاً أمله ... يموتُ من جا أجلُهْ
ومن دنا من حتفه ... لم تغن عنه حيلهْ
وما بقاءُ آخر ... قد غاب عنه أولُهْ
فالمرء لايصحبه ... فى القبر إلا عملُهْ

وينسب إليه :

لاتأمن الموتَ فى طرف ولانفس ... ولو تمنَّعْتَ بالحُجَّاب والحرس
واعلم بأنَّ سهامَ الموتِ نافذةٌ ... فى كُلِّ مُدَّرعٍ[1] منا ومُتَّرس
مابالُ دينك ترضى أنْ تُدَنِّسَهُ ... وثوبُك الدَّهْر مغسولٌ من الدنَس
ترجو النجاةَ ولم تَسلك مسالكها ... إنَّ السفينة لاتجرى على اليَبَسِ[2]

وقال حين عزى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ :

إنَّا نُعَزِّيكَ لا أنَّا على ثقة ... من الحياة ولكنْ سُنَّةُ الدِّين
فلا المُعزَّى بباق بعد ميتته ... ولا المُعَزِّى ولوْ عاشا إلى حين

وينسب إليه :

جزى اللهُ عنا الموتَ خيراً فإنه ... أبَرُّ بنا من كلِّ شىء وأرأف
يُعجِّلُ تخليص النفوس من الأذى ... ويُدْنى من الدَار التى هى أشرفُ

وينسب إليه أنه قال عن يوم القيامة:

إذا قَربتْ ساعةٌ يالها ... وزُلْزلت الأرضُ زلْزالها
تسيرُ الجبالُ على سُرْعة ... كَمَرِّ السحابَ ترى حالها
وتنفطرُ الأرضُ من نفخة ... هنالك تُخرجُ أثقالها
ولابد من سائل قائل ... من الناس يومئذ مالها
تُحَدِّث أخبارَها ربها ... وربُّك لاشك أوحى لها

---

(١) مدرع : زى الحرب (٢) اليبس : أى اليابسة المقصود بها الأرض

وقال :

الموتُ لا والداً يُبْقى ولا ولدا	هذا السبيلُ إلى أنْ لاترى أحدا
كان النبىُّ ولم يخلدْ لأمّته	لو خلَّدَ الله خلقاً قبله خلدا
للموتِ فينا سهامٌ غيرُ خاطئة	مَنْ فاته اليومَ سهمٌ لم يَفُتْه غدا

الرثاء

وقال فى رثاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

نفسى على زفراتها محبوسةٌ	ياليتها خرجتْ مع الزفرات
لاخيرَ بعدك فى الحياة وإنما	أبْكى مخافةَ أنْ تطولَ حياتى

وينسب إليه رضى الله عنه ، وفى بعض المصادر أنه قال : إن فاطمة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ سارت إلى قبر أبيها بعد موته ـ ﷺ ـ ووقفت عليه وبكت ، ثم أخذت قبضة من تراب القبر فجعلتها على يمينها ووجهها ثم أنشأت تقول :

قل للمُغيَّب تحتَ أطباق الثَّرَى	إنْ كنْتَ تسمعُ صرختى وندائيا
صُبَّتْ علىَّ مَصائبُ لو أنَّها	صُبَّتْ على الأيام صِرْنَ لياليا
قد كُنت ذاتَ حمى بظلِّ محمد	لاأخشْ من ضيم ، وكان جماليا
فاليوم أخْشعُ للذليل وأتقى	ضيمى ، وأدْفَعُ ظالمى بردائيا
فإذا بكتْ قمريةٌ فى ليلها	شجْنا على غُصْنٍ ، بكيتُ صباحيا
فلأجعلنَّ الحزن بعدك مُؤنسى	ولأجعلن الدمعَ فيك وشاحيا
ماذا على من شم تُرْبَة أحمدِ	أنْ لايُشَمَّ مدى الزمانَ غواليا؟

الكهولَ وأطفالها
كان مثقالها
ا عليها وإمَّا لها
فى البعث حمالها
ى العين ماهالها
للنفسِ آمالها

اريخُ الكبَر
تَ على الأثرْ
الحذرَ الحذرْ

ى طالب فى النوم ، فقلت : يا
فإذا فيها مكتوب :

ل تصيرُ ميتاً
لدارِ البقاء بيتاً

بيلٌ لستُ فيها بأوحد
مَن قد مات قبلى مخلدَ
لاً أو يروح ويغتدى

فا من الموت والمعادَ
مالذَّةُ الرُّمادَ
زرع من حصادَ

ألا يارسول الله كُنت رجائيا ... وكنتَ بنا براً ولم تك جافيا
كأنَّ على قلبى لذكر محمد ... وماجاء من بعد النبى المكاويا
أفاطمُ ، صلى اللهُ ربُّ محمدٌ ... على جَدَثٍ أمسى بيثرب ثاويا
فدىً لرسول الله أمى وخالتى ... وعمّى وزوجى ، ثم نفسى وخاليا
فلو أن رب العرش أبقاك بيننا ... سعدنا ، ولكن أمرهُ كان ماضيا
عليك من الله السلامُ تحيةً ... وأُدْخِلْتَ جنات من العَدْنِ راضيا

وقال :

إليكَ رسولَ الله صفٌّ مُقَدَّمٌ ... إذا كان ضربُ الهام نقفا تفانيا

قال الإمام على فى الكوفة من خطبة « وَيْ للنزعة بأشطان الركى[1] » دعُوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرأوا القرآن فأحسنوه ، ونطقوا بالشعر فأحكموه ، وهيجوا إلى الجهاد فولوا اللقاح أولادها ، وسلبوا السيوف أغمادها ، ضربا ضربا ، وزحفا زحفا ، لا يتباشرون بالحياة ، ولا يعزّون على القتلى :

أولئك إخوانى الذاهبون ... فحقَّ البكاءُ لهم أن يطيبا
رُزئتُ صبياً على فاقة ... وفارقت بعد حبيب حبيبا

وينسب إليه كرم الله وجهه:

ولو أنَّا إذا متنا تُركنا ... لكان الموتُ راحةَ كلِّ حيٍّ
ولكنا إذا متنا بُعثنا ... ونُسألُ بعدَ ذا عن كل شيء

وقال يرثى النبى صلى الله عليه وسلم

ألا طرقَ الناعى بليل فراعَنى ... وأرّقَنى لما استهلَّ مُناديا
فقلتُ له لَمّا رأيتُ الذى أتى ... أغيرَ رسول الله أصبحتُ ناعيا
فحقٌّ ماأشفَقْتُ منه ولم يَبِلْ ... وكان خليلى عدَّتى وجماليا

(١) الركى : الآبار .

فوالله لاأنساك أحمدُ مامشتْ ... ابى العيسُ فى أرض وجاوزتُ واديا
وكنتُ متى أهبطْ من الأرض تلْعَةً[1] ... أجدْ أثراً منه جديداً وعافيا
جوادٌ تَشظى[2] الخيلُ عنه كأنما ... يَرين به ليثا عليهن ضاريا
من الأسد قد أحْمى العرين مهابة ... تفادى سباعَ الأرض منه تفاديا
شديدٌ جرىءُ النفس نَهْدٌ مصدرٌ ... هو الموتُ مغدوٌّ عليه وغاديا
أتتك رسول الله خيلٌ مُغيرةٌ ... تُثيرُ غباراً كالضبابة كابيا
إليك رسول الله صفٌّ مقدمٌ ... إذا كان ضربُ الهام[3] نقفا تفانيا

وقال فى رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم :

كُنت السوادَ لناظرى ... فبكى عليك الناظرُ
منْ شاءَ بعدك فلْيَمُتْ ... فعليك كُنتُ أحاذرُ

وكان على بن أبى طالب يغدو ويروح إلى قبر رسول الله ـ ﷺ ـ بعد وفاته ويبكى تفجعا ثم يقول : يارسول الله ماأحسن الصبر إلا عنك وأقبح البكاء إلا عليك ثم يقول :

ماغاضَ دمعى عند نازلة ... إلاَّ جَعَلْتُك للبكا سببا
وإذا ذكرتُك ميتاً سفحتْ ... عينى الدموع ففاض وانْسَكَبا
إنِّى أجلُّ ثرى حلَلْتَ به ... عن أن أرى لسواه مُكْتَئبا

ويقول رضى الله عنه يرثى النبى:

أمنْ بعد تكفين النبى ودفنه ... نعيشُ بآلاء ونجْنحُ للسلوى
رزئْنا رسولَ الله حقا فلن نرى ... بذاك عديلا ماحيينا من الردى
وكنتَ لنا كالحصْنِ من دون أهله ... له معْقلُ حرزٍ[4] حريزٌ من العدى

(١) تلعة : المرتفعة من الأرض .
(٢) جواد تشظىٌّ : تفرمنه .
(٣) الهام : الرقاب .
(٤) حرز : حصن

وكنا به شُمَّ الأنوف[1] بنحوه ... على موضع لايُستطاع ولايُرى

وكنا بمرآكم نرى النورَ والهدى ... صباحَ مساءَ راح فينا أو اغتدى

لقد غشيتنا ظلمةٌ بعد فقدكم ... نهاراً وقد زادت على ظلمة الدجى

فيا خيرَ من ضم الجوانح والحشا ... وياخيرَ ميت ضمه التربُ والثرى

كأن أمورَ الناس بعدك ضُمِّنَتْ ... سفينةُ موجٍ حين فى البحر قد سما

وضاق فضاءُ الأرض عنا برحبة ... لفقْد رسولِ الله إذ قيل قد مضى

فقد نزلتْ بالمسلمين مصيبة ... كصدْع الصفا لاصدْعَ للشَّعْب فى الصفا

فلنْ يستقل الناس ماحلَّ فيهم ... ولن يُجْبَرَ العَظْمُ الذى منهم وهَىَ

وفى كل وقت للصلاة يهيجها ... بلالٌ ويدعو باسمه كلما دعا

ويطلب أقوامٌ مواريث هالك ... وفينا مواريثُ النبوة والهدى

فيا حُزنا ، إنا رأينا نبيناً ... على حين تم الدين واشتدت القوى

وكان الألى شبهتَه سِفْرُ ليلة ... أضلَّ الهدى ، لانجم فيها ولاضوَى

وقال عند قبر فاطمة:

حبيبٌ ليس يعدى حبيبُ ... ومالسواه فى قلبى نصيبُ

حبيبٌ غاب عن عينى وجسمى ... وعن قلبى حبيبى لايغيب

وقال فى رثاء خديجة أم المؤمنين وأبى طالب:

أعينى جودا بارك اللهُ فيكما ... على هالكَيْن لاترى لهما مثلا

على شيِّد البطحاء[2] وابن رئيسها ... وسيِّدةَ النسْوان أولَ مَنْ صلى

مُهذَّبةً قد طيب اللهُ خيمها ... مُباركةً والله ساقَ لها الفضلا

لقد نصرا فى الله دينَ محمد ... على من بغى فى الدين قد رَعَيا إلاَّ

(١) **شم الأنوف** : كناية عن الفخر والعزة.
(٢) **البطحاء** : المسيل الواسع ومنه بطحاء مكة.

وقال فى شكوى الزمان وقيل إنه فى رثاء فاطمة الزهراء رضى الله عنها :

أرى عللَ الدنيا علىَّ كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليلُ[1]

ذكرْتُ أبا أرْوى فَبتُّ كأنَّنى ... برَدِّ الهموم الماضيات وكيلُ

يريد الفتى أنْ لايدوم خليلُ ... وليس له الممات سبيلُ

فلابد من موت ولابد من بلى ... وإنَّ بقائى بعدكم لقليلُ

لكل اجتماع من خلَيلين[2] فرقةٌ ... وكلُّ الذى دون الممات قليلُ

وإنَّ افتقادى واحداً بعد واحد ... دليلٌ على أن لايدوم خليلُ

إذا انقطعت يوما عن العيش مدتى ... فإنَّ غناءَ الباكيات قليل

سيعرض عن ذكرى ، وتنسى مودتى ... ويُحْدثُ بعدى للخليل خَليلُ

وينسب إليه أنه لما قتل عمار بن ياسر يوم صفين احتمله أمير المؤمنين على إلى خيمته وجعل يمسح الدم عن وجهه وهو يقول :

وماظبيةٌ تَسْبى القلوبَ بطرفها ... إذا التفتت خلنا بأجفانها سحرا

بأحسن منه كلَّلَ السيفُ وجهَهُ ... دما فى سبيل الله حتى قَضىَ صبرا

وقال بعد شهادة عمار بن ياسر:

ألا أيها الموتُ الذى ليس تاركى ... أرحْنى فقد أفنيتُ كلَّ خليل

أراك مُضراً بالذين أحبُّهم ... كأنَّكَ تنحو نحوهم بدليل

وقال يرثى أباه أبا طالب:

أبا طالب عصمةَ المستجير ... وغيث المحول ونورَ الظُلم

لقد هدَّ فقدُك أهل الحفاظ ... فصلى عليك ولىُّ النعم

ولقاكَ ربُّك رضوانه ... فقد كنتَ للمصطفى خير عم

(١) **عليل** : مريض أو كثير الشكوى.
(٢) **خليلين** : الخليل هو الصاحب والصديق.

وقال يرثي أباه أبا طالب :

أرقت لنوح آخر الليل غردا ... لشيخي ينعي والرئيس المسودا

أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى[1] ... وذا الحلم لا خلفاً ولم يك قعددا

أخا الملك خلت ثلمة[2] سيسدها ... بنو هاشم أو يستباح فيهمدا

فأمست قريش يفرحون لفقده ... ولست أرى حياً لشيء مخلدا

أرادت أموراً زينتها حلومهم ... ستوردهم يوماً من الغي موردا

يرجون تكذيب النبي وقتله ... وإن يفتروا بهتاً عليه ومجحدا

كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم ... صدور العوالي والصفيح المهندا

ويظهر منا منظر ذو كريهة ... إذا ما تسربلنا الحديد المسردا

فإما تبيدونا وإما نبيدكم ... وإما تروا سلم العشيرة أرشدا

وإلا فإن الحي دون محمد[3] ... بنو هاشم خير البرية محتدا

وإن له فيكم من الله ناصراً ... وليس نبي صاحب الله واحدا

نبي أتى من كل وحي بخطبة ... فسماه ربي في الكتاب محمدا

أغر[4] كضوء البدر صورة وجهه ... جلا الغيم عنه ضوؤه فتوقدا

أمين على ما استودع الله قلبه ... وإن قال قولا كان فيه مسددا[5]

* * *

(١) **ذا الندى** : دلالة على الجود والكرم والبذل.
(٢) **ثلمة**: العيب والنقصان .
(٣) **محمد** : المقصود به رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(٤) **أغر** : أي شريف.
(٥) **مسدداً** : أي صائباً صادقاً.

الفهرس

الموضوع — الصفحة

الموضـــــوع الصـفـحة

* * *